أعمال رحمت الله الكيرانوي العلمية
دراسة تحليلية

بحث جامعي
لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة

إعداد وتقديم
اختر عالم

تحت إشراف
الدكتور رضوان ا لرحمن

مركز الدراسات العربية والأفريقية
مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو
نيو دلهي-110067

2007م

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

Dated: 26.07.2007

DECLARATION

I declare that the work done in this dissertation entitle "AAMAALO RAHMATULLAH AL KAIRANVI AL ELMIAH: DIRAASAH TAHLEELIYAH (Scholarly Works of Rahmatullah Kairanvi: an analytical study)" by me is an original work and has not been previously submitted for any other degree in this or any other University/Institution.

Akhtar Alam
(Research Scholar)

Dr. Rizwanur Rahman
(Supervisor)

Prof. Faizanullah Farooqi
(Chairperson)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى أبي الكريم
وأمي الحنون

رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

المقدمة

الحمد لله الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفوا أحد لـه الخلق والأمر وله الكبرياء في السموات والأرض وهو رب العالمين الصلاة والسلام على نبي من لا نبي بعده. أما بعد.

لا يخفى على طلاب التواريخ أن الهند شاهدت كثيرا من الأمم الذين تمكنوا من عرشها وحاكموا على سكانها في العصور المختلفة فدخل بعض الأمم حاملين رسالتهم الرحيمة العادلة داعيين الهنود من ضيق الدينا إلى سعتها واضعين عنهم إصرهم والأغلال التي كانت على عواتقهم، مصممين على الإقامة فيها والاتصال بشعوبها اتصالا مباشراً منهم المسلمون الذين كانوا يعتزون بكون الهند وطنا ومدفنا لهم وبذلوا قصارى جهودهم للإضافة إلى ثروة البلاد وازدهارها وقد برز منهم كثير من العلماء الماهرين في الفنون المختلفة حتى يعد عصرهم عصرا ذهبياً.

وقد تسلل فيها بعض الأمم طامعين في ثروتها، حاملين نياتهم الغاشمة، قائمين بإجراءات إرهابية، مفسدين في أرضها بينما كانت الهند تتمتع بالأمن والسلامة منهم الإنجليز الذين قاموا بكشف نواياهم المذمومة وبث الدعايات المسمومة ضد الهنود وبالوجه الخصوص ضد المسلمين وتعاليمهم الإسلامية منذ أن وطئت أقدامهم أرض الهند، ولما تولى الإنجليز الحكم في الهند بدأوا يفكرون في اتخاذ الإجراءات الإجبارية لتنصير الهنود كما فعلوا في "أندلس" من قبل حيث قاموا

بحظر النشاطات الدينية والممارسات الإسلامية ونصروا المسلمين إجبارياً ولكنهم علموا في فترة قصيرة أن إجراءاتهم الإجبارية وعملياتهم الإرهابية لا تكلل بالنجاح في الهند فانهم لجؤوا إلى وسائل أخرى لتبليغ النصرانية واشتدت الحملات التنصيرية بطباعة الكتب والكتيبات المختلفة التي تعين في نشر العقائد النصرانية وتوزيعها بين الموظفين الحكومين وفتحت المدارس الابتدائية والمعاهد العلمية كي ينصروا أذهان الطلاب الناشئين وكذلك أسست الكليات والجامعات في أهم المدن حيث الزموا تعليم الدين المسيحي والثقافة الغربية حتى تتفق أفكار الشبان مع الأفكار الغربية ويعيش الجيل الجديد عيشهم ويدينون دينهم، وقد انتشر الأساقفة والمبشرون والمتنصرون الهنود تحت إشراف القسيس الكبير الدكتور فندر في المدن والقرى بحماس ونشاط كبير يدعون المتعلمين والأميين إلى دينهم، وبلغ السيل الزبى وتم الوادى القرى عندما بدأ الدكتور فندر يتحدى علماء المسلمين تحديا سافرا على درج المسجد الجامع الكبير بأن الأدلة التي أثارها ضد العقائد الإسلامية في كتابه "ميزان الحق" ليس من السهل معارضتها ونقضها لعلماء المسلمين وكان فندر كثيراً الإدلال بكتابه فخوراً به ولم يأل الإنجليز أي جهد في إثارة الشكوك والشبهات في العقائد الإسلامية.

وأما علماء المسلمين فكانوا في شغل شاغل بما كانوا يدرسونه من علوم دينية شرعية أو فنون عقلية يونانية وبحوث كلامية وفقهية

وتحقيقات تفسيرية وحديثية فكان هذا الزحف العلمي والعقائدي مفاجأة لعلماء المسلمين أو غارة في ظلام الليل وكان الوقوف في وجهها ومقاومتها تحتاج إلى شجاعة معنوية وحمية دينية متأججة وصبر طويل وهمة عالية تحت على دراسة المسيحية من ينابيعيها الأصلية.

فإذا قدر الله أن يخرج الشعب المسلم من هذه المعركة الجدلية الكلامية والعلمية الإستدلالية، وقيض الشيخ رحمت الله الكيرانوي الذي جهز نفسه بدراسة المصادر النصرانية ومراجعها دراسة عميقة دقيقة حتى يغوص وينقب فيها فكتب الشيخ "إزالة الأوهام" و"إزالة الشكوك" و"أحسن الأحاديث في إبطال التثليث" وغيرها من المؤلفات القيمة في الرد على النصرانية والمنصرين ثم حدثت المناظرة الحاسمة بينه والدكتور فندر في 10 من ابريل 1854م في اكبر آباد وكان موضوع المناظرة خمس قضايا وهي التعريف في الكتاب المقدس ووقوع النسخ والتثليث ونبوة محمد وصدق القرآن وصحته حيث انتصر الشيخ واعترف فندر بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل هذا الانتصار ليس للشيخ فقط بل إنه انتصار رائع للإسلام والمسلمين في هذا الجهاد العلمي الكبير فقويت به معنوية المسلمين وعادت الثقة إلى نفوسهم وتشجعوا على مقاومة المنصرين ورد دعاويهم وفقدت الحركة التبشيرية الكثير من اعتبارها وقيمتها ووجه الشيخ هذا السيل الجارف من جهة إلى جهة حتى تراجعت الحركات التبشرية أعقابها أو ضعف مدها وطغيانها.

ثم سافر الشيخ عقب ثورة 1857م إلى مكة المكرمة بعد ما أبلى فيها بلاءاً حسناً، واشتغل في الحرم الشريف بالدرس والتدريس ولما سمع الخليفة العثمانية عبد العزيز قصة المناظرة وعرف طول باعه وواسع إطلاعه وقوة عارضة واقتداره على نقد المسيحية ومصادرها طلب منه أن يكتب كتابا بالعربية يتناول فيه القضايا الخمس التي دار عليها البحث في مناظرة اكبر آباد بالتحقيق والتفصيل فقد ألف الشيخ كتاب إظهار الحق فإنه أفضل الكتب في الموضوع حتى كتب صحيفة "الندن تائمز" تعليقا عليه "لودام الناس يقرأون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم" وفي الواقع انتهت الرئاسة إلى الشيخ في هذا الموضوع وطبقت شهرت الآفاق وسلم لـه معاصروه وأقرانه وعلماء العالم الإسلامي بالأمانة والزعامة فيه.

هاهي مجهودات الشيخ الضخمة وجهاده الأكبر في واجب الوقت دفعتني إلى أن أكتب شيئاً في حياته وأعماله العلمية القيمة فاتخذتها موضوعا لهذا البحث الجامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة لبحث الجامعي ما قبل الدكتورة ووزعت هذا البحث إلى ثلاثة أبواب ومقدمة، ألقيت في الباب الأول نظرة عابرة في تاريخ المسلمين والمسيحية في أرض الهند ثم حدثت في الباب الثاني عن حياة الشيخ الجليلة مع ضوء خاص على ثورة 1857م وذكرت في الباب الثالث أعماله العلمية وأسلوبه في الرد على النصرانية.

وقد واجهت مشاكل كثيرة حواجز عديدة في إكمال هذا البحث فلو لم

البـــــــاب الأول

المسلمون الهنود حتى عصر
الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي

جغرافية الهند

الهند شبه جزيرة واسعة تقع في قارة آسيا تزيد مساحتها على 32.87.263 كيلومترا مربعاً وهي السابعة بين الدول الواسعة الكبرى في العالم وثاني أكبر بلد في العالم من حيث عدد السكان، هذه البلاد يحدها شمالا سلسلة جبال "همالية" الفاصلة بينها وبين بلاد "التبت" وهي تمتد عن شمالي كشمير شرقاً بميلة إلى الجنوب، حتى تحاذي 92 من الطول الشرقي ويحدها شرقا خط مفروض في 92 من الطول الشرقي من السلسلة المذكورة إلى نهر "برهم بوترا" وكذلك على النهر المذكور وخليج بنغال وجنوبا بحر الهند أيضاً ونهر الهند والسند ومعظم عرضها 2.933 كيلومترا مربعاً، ومعظم طولها 3.214 كيلو مترا مربعا.[1]

الهند في مراحل التاريخ

وكانت الهند مقر الديانة البراهمية التي تنسب إلى "براهما" كما تسمى "الهندوسية" نسبة إلى الهند وتقسم الشعب إلى طبقات متباينة على شكل هرم فتم تقسيم أهل البلاد إلى أربع طبقات ممتازة وهي (1) البراهمة طبقة الكهنة (Brahmans)ورجال الدين (2) شتري (Shatriyas) رجال الحرب (3) ويش (Vaishyas): رجال الزراعة والتجارة (4) شودر (Shudras): رجال الخدمة.[2]

وفقا لهذه العقائد الباطلة قد خلق القادر المطلق البراهمة لمصلحة

العالم البراهمة من فمه، وشتري من سواعده، وويش من أفخاذه، والشودر من أرجله، ووزع لهم فرائض وواجبات لصلاح العالم، فعلى البراهمة تعليم ويد (Vedas) وتقديم النذور للآلهة وتعاطى الصدقات، وعلى الشتري حراسة الناس والتصدق وتقديم النذور ودراسة "ويدا" والعزوف عن الشهوات، وعلى ويش رعى السائمة والقيام بخدمتهم وتلاوة ويد والتجارة والزراعة وليس لشودر إلا خدمة هذه الطبقات الثلاث.[3]

وكذلك وجدت الديانة البوذية في شمال شرقي الهند في سفوح جبال هيمالايا، ولكنها لم تنتشر في الهند بل انتشرت خارجها في الصين وفي وسط آسيا وغيرها من البلاد الأخرى.

وصل الإسكندر الأكبر المقدوني إلى الهند في أول القرن الرابع قبل المسيح، وبقى فيها 19 شهرا[4] وتعاقبت بعده على الحكم أسر حاول بعضها نشر البوذية ودعا بعضها للبراهمية وكانت قبائل "الهون" و"حموع" "السيت" دخلت البلاد بين الحين والآخر، فعمت الفوضى وانتشر الفساد، وأمراء البلاد من كشمير حتى البنغال كانوا يتخاصمون فيما بينهم، وكان يحكم إقليم السند قبائل "السكا" المتنافرة المتقابلة فيما بينها ثم خضع هذا الإقليم في وقت متأخر لحكم ملك براهمي هو الملك "داهر" الذي طرق المسلمون أيامه أبواب البلاد.

وكان الفقر سائدا بين الشعب والأغنياء يتحكمون في الناس

والمجاعات تحدث بين مدة وأخرى، والظلم قائم، ونظام الطبقات الجائر كان سائدا، فلا بد من أن يدخل المسلمون هذه البلاد ليزيلوا الظلم ويرفعوا الطغيان لأن الله ألقى على عاتقهم المهمة في إزالة الظلم والطغيان أينما وجد.

وأخذت العلاقات الهندية - العربية تتوثق منذ إنبثق نور الإسلام في شبه القارة الهندية في القرن الأول للهجرة، والفضل في هذا أيضا يعود إلى التجار العرب الذين لم يألوا جهدا في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في سواحل الهند الغربية والجنوبية، وإلى جانب العلاقات التجارية المستمرة منذ قرون، بدأت العلاقات السياسية تتوثق بين هذين العالمين منذ القرن السابع الميلادي فأول أسطول مسلم ظهر في المياه الهندية في عام 636م في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه، وتم اكتشاف الطرق البرية إلى الهند في هذا العهد كما تم جمع معلومات كثيرة عنها، وقد مهدت هذه المعلومات الطريق لفتح السند.[5]

بدأت الغزوات البحرية تصل إلى الشواطئ الشمالية الغربية للهند وتغزو "الديبل" (كراتشي اليوم) و"بومباى" وذلك منذ أيام الخلفاء الراشدين وخاصة أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

سار المهلب بن أبى صفرة على رأس جيش عام 665م أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فغزا منطقة السند ونال شيئاً من النجاح.

وأرسل أيام عبد الملك بن مروان أرسل سعيد بن أسلم بن زرعة عاملاً لـه على ثغر السند ولكنه قتل وفر قاتلاه إلى السند حيث آواهما الملك "داهر"، فهذا الذي جعل بين المسلمين والملك داهر إحتكاكا مباشرا، وعندما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر المشرق أرسل إلى السند "مجاعة بن سعر التميمي" عاملا على ثغر السند فاستطاع فتح بعض المناطق ووافاه الأجل قبل نهاية عام وفي هذه الفترة اختطف القراصنة الهنود بعض النساء المسلمات فطلب الحجاج من ملك السند "داهر" تسليم هؤلاء النساء، فأجاب: بأن يده لا تصل إلى القراصنة فأرسل إليه الحجاج بعض المجاهدين وكان على رأسهم عبيد الله بن نبهان لكنه ثم أرسل "بدبل" ولكن وأفاه الأجل وافاه فأرسل بعده "محمد بن القاسم الثقفي بجماعة ألف رجل ففتح "الديبل"[6] كراتشي اليوم عام 708م بعد أن حاصرها براً ووصل الأسطول الإسلامي فحاصرها بحرا فحطم الأصنام التي فيها ثم اتجه إلى عاصمة الإقليم وهي "الملتان" ففتحها عام 713م وقتل الملك "داهر"

وتولى بعد محمد بن القاسم أمر السند يزيد بن أبي كبشة في أيام عمر بن عبد العزيز الذي أرسل عمر بن مسلم الباهلي والياً على السند فانتشر الإسلام فيها وساد الأمن في البلاد.[7]

وفي عهد الخلافة العباسية انتشرت الشيعية في هذه البقعة وخاصة

في زمن المنصور حيث كان واليها عمرو بن حفص، ومع مرور الزمان قد حدثت الخلافات بين القبائل العربية التي جعلت هذه البلاد وطنا لهم فانتهز الهنود هذه الفرصة وقبضوا على بعض أجزاء البلاد وفي الختام قامت حكومة اسماعيلية دامت سنوات عديدة. وقد حكم هذه الدولة أبو الفتح داؤد القرمطي، ومحمود الغزنوي سيطر عليها إذا لم تصل رسالة الحق في أيام الفتوحات الأولى إلا إلى المناطق السندية في الشمال الغربي من الهند والسند.

وقد توقفت سلسلة الفتوحات الإسلامية الأولى والناس انصرفوا إلى التجارة في كل جهة من البر والبحر وكانوا يعرفون الارتحال من قبل في المحيط الهندي وكانت تتحرك سفنهم في ذلك الاتجاه ولكن توقف المسلمون على السواحل الغربية للهند وانتشر فيها الإسلام لأنهم جعلوا التجارة وسيلة للدعوة والاتصال بالناس، وأما انتشار الإسلام في السواحل الشرقية فهو أقل مما هي الحال في المناطق الغربية لعد وصول السفن إليها.

أقام الغزنويون دولتهم في أرض أفغانستان وحكم الدولة محمود الغزنوي عام 998م وتوغل الهند عن طريق ممر خيبر وتمكن من فتح "قنوج" في وسط البلاد و"غجرات" على السواحل الغربية وقام بخراب معبد "سومنات" وعندما توفي محمود الغزنوي تولى زمام الحكومة مسعود بن محمود الذي تمكن من فتح مدينة "بنارس"، حكم الغزنويون حتى عام

1201م.[8]

ثم جاء عهد الغوريين الذين وصلوا إلى البنغال، وحكم منهم محمد الغوري فقط وخلفه مملوكه "قطب الدين أيبك "واستقل الخلجيون في البنغال ثم حكم آل تغلق البلاد، فعملوا على نشر الإسلام، ومن حكامهم غياث الدين الذي زار في عهده ابن بطوطة الهند، أما "دهلي" فقد حكمها بعد "قطب الدين أيبك" صهره ومملوكه "التتمش" واعترف لـه الخليفة العباسي ولقبه ناصر أمير المؤمنين وهكذا انتشر الإسلام في شمال الهند في السهول الممتدة بين الغرب والشرق وبخاصة في البنغال بجهود آل تغلق.

ثم أتى المغول وصاروا يغزون الدولة الجديدة ونازلهم علاء الدين تحت أسوار دهلي في عام 1297م فوجد أمامه خمس مأة ألف رجل على ما يروي فدحرهم وفتح تيمور لنك مدينة دهلي[9] عنوة في عام 1378م، لم يكن أمره غير عابر سبيل فتوجه قيام دول موقتة هنا وهنا لك ثم حكم اللودهيون على الهند ومنهم إسكندر شاه الذي عمل على نشر الإسلام، ولما حل عام 1517م استولى بابر على مدينة دهلي وأسس دولة مغولية عظيمة في الهند كتب لها البقاء مدة ثلاثة قرون، وكان المغول حديثي العهد بالإسلام فكان منهم المصلحون ومنهم المفسدون ومنهم الملك اكبر الذي نقل العاصمة إلى مدينة آغرا، وأراد أن يضع دينا جديداً فوقف العلماء في وجهه ووجه ابنه جهانكير الذي خلفه من عام 1605م إلى عام 1627م واستولى الحكم شاه

جهان من عام 1628م إلى 1658م ثم جاء حفيد اكبر أورنك زيب فإنه أجاد في حكم البلاد و نظامها حوالي خمسين سنة حكما حازما. لم يحكم أحد من قبل ولا ولكنه أصبح هدفا لنقد عنيف من المؤرخين المتعصبين، ويقول مولانا مسعود عالم الندوي حينما يقارنه مع ملوك الهند الآخرين.

"فلم يتول الأمر كبير ملوك الهند القدماء "أشوك" (273-232ق م) إلا إحدى وأربعين سنة وكذلك لم يتول (بكرماجيت) من ملوك الهنادك (375-315 ق م) اكثر من أربعين عاماً وهذا فيروز شاه تغلق من كبار ملوك الهند ملك الأمر ثمانية وثلاثين عاماً فقط أما أكبر فهو يضاهيه في بادي الرأي لكن الحقيقة أنه نودي به ملكا وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فتولى الأمر عنه بيرم خان إلى أن بلغ أشده وأخذ زمام الأمر بيده وذلك بعد خمس سنوات. أما صاحبنا فتولى الأمر وهو ابن أربعين منجذ في الحروب رجل السياسة و واحدها "[10]

ولكن الحكم المغولي بعد أورنك زيب قد تذوق ذوقاً مراً من الفوضى والانتشار في البلاد حتى وصلت الدولة الكبرى إلى وشك النهاية، لان الخلفاء الذين جاءوا بعده كانوا ضعافاً لم يكونوا مثله قوة وحرفا وتدبيرا، فأخذت الدولة الإسلامية تتهاوى من فوق القمة التي أقعدها فوقها وبدأت رقعاتها الواسعة تتفتت شيئاً فشيئاً ويستقل هنا أو هناك أمير بحكم ولايته، وسنحت الفرصة لبعض الأمراء الهندوس والسيخ أن يجمعوا الجيوش

ويشنوا حروباً على الدولة الإسلامية ويقاطعوا لهم من جسمها الكبير ولايات يحكمونها والملوك المسلمون في دهلي يضعفون ويفقدون نفوذهم وتنكمش حدود بلادهم حتى لم يعد لهم مع الأسف سلطان ولا نفوذ وإن ضعف المملكة وفساد الملوك إن دل على شيء فإنما يدل على فساد الشعب فقد كانت البدع والمنكرات فاشية في الناس وكانوا يتبعون الشهوات وملذات الحياة ولا يبالون بما أمرهم به ربهم.[11]

دور الأمة الإسلامية في الهند

قد دخلت الأمة الإسلامية في هذه البلاد حينا بدوافع دينية حاملة إلى أهلها رسالة الإسلام الرحيمة العادلة ولتخرج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ولتضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم كما فعل أولئك الدعاة المخلصون كالسيد علي الهجويري والشيخ معين الدين الأجميري والسيد علي بن الشهاب الهمداني الكشميري.

وتوغل المسلمون حينا آخر كغزاة فاتحين وملوك طامحين كالسلطان محمود الغزنوي وشهاب الدين محمد الغورى، وظهير الدين بابر التيموري كانوا مؤسسى دولة عظيمة ازدهرت مدة طويلة، خدمت البلاد وتقدمت بها في نواحي الحياة المختلفة.

يقول أبو الحسن علي الندوي في كتابه "المسلمون في الهند" في وصف المسلمين الذين حملوا إلى أهل الهند رسالة الإسلام الرحيمة العادلة

والملوك الطامحين:

"وكان كل من هؤلاء وأولئك مصمما على الإقامة في البلاد أو على الاتصال بها اتصالا مباشرا مستمرا يعتقد أن الأرض لله يورثها من يشاء وأن كل ما كان لله من أرض وبلاد فهو للمسلم عن طريق الخلافة والوصاية العالمية التي كلف بها المسلمون فكانوا ينظرون إلى هذه البلاد كوطن ومدفن ومسكن لا يبغون عنها حولا، فكانوا يخدمونها بكل ما أوتوه من ذكاء ونبوغ وقوى ومواهب، وكانوا يعتقدون أن كل ما يضيفونه إلى ثروتها إنما يضيفونه إلى ثروتهم ويحسنون إلى انفسهم وأجيالهم القادمة لأنهم أهل البلاد وأمة المستقبل، فكان نظرهم إلى البلاد يختلف بطبيعة الحال من نظر الأوربيين المستعمرين الذين يجلبون خيراتها إلى بلادهم الخاصة ويحلبون البلاد كبقرة مستعارة لا تقيم عندهم ولا يجدون من بعد إليها سبيلا وذلك سر عناية المسلمون بهذه البلاد وحرصهم على تقدمها ورفاهيتها.[12]

ينقل أبو الحسن علي الندوي عن المؤرخ الهندي المعروف K.M. Panikkar وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الإسلامية في عقلية الشعب الهندي وديانته:

"من الواضح المقرر أن تأثير الإسلام في الديانة الهندوكية كان عميقا في هذا العهد (الإسلامي) أن فكرة عبادة الله في الهنادك مدينة

للإسلام، أن قادة الفكر والدين في هذا العصر وإن سموا آلهتهم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله وصرحوا بأن الإله واحد وهو يستحق العبادة ومنه تطلب النجاة والسعادة وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التي ظهرت في الهند في العهد الإسلامي كديانة (Bhagti) ودعوة "كبير داس".[13]

وكان أغرب ما كان المسلمون يفعلون في الاجتماع هي الدعوة إلى المساواة الإنسانية "لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " هذه الدعوة التي لم يكن للهند عهد بها فلا نظام طبقات ولا منبوذ ولا نجس بالولادة ولا جاهل يحرم عليه التعليم ولا تقسيم أيد للحرف والصناعات يعيشون معا ويأكلون جميعاً ويتعلمون سواءاً ويختارون ما يشاؤون من الحرف والصناعات وكذلك دعا المسلمون إلى احترام المرأة والاعتراف بحقوقها وكرامتها كعضو محترم من أعضاء الأسرة الإنسانية وشقيقة الرجل، وقام الملوك ورجال الحكم المسلمون بإصلاح الطقوس والعادات المتبعة في الهند وخاصة إصلاح تقليد ما يسمى "ستى" وهو إحراق الزوجات على وفاة أزواجهن فقد تنزل عدد حوادث "ستى" نسبياً لأن المسلمين الذين يحكمون هذه البلاد يبذلون أقصى جهودهم للقضاء على هذا التقليد الوحشي ولو أنهم لم يسنو أي قانون لمنع هذه الحادثة من الوقوع

لكنهم كانوا يحاولون إيقاف تقليد "ستي" بطريق غير مباشرة فلا تستطيع أي إمرأة أن تقدم نفسها لـ "ستي" إلا باذن حاكم الولاية.

وقد قرر هذه الحقيقة التاريخية رئيس وزراء الهند السابق قائلاً:

"إن دخول الإسلام والمسلمين في الهند لـه أهمية كبيرة في تاريخها، إنهم قد فضحوا الفساد الذي كان قد منتشر في المجتمع الهندوسي وإنهم أجادوا في إزالة سوء نظام الطبقات ولمس المنبوذ إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها أثرت في أذهان الهندوس تأثيرا عميقا وكان الهندوس أكثر خضوعاً لهذا التأثير الذي حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية.[14]

والجوانب الأخرى التي رعاها المسلمون خاصة المغول الذين كانوا اصحاب ذوق رفيع كثيرة الفواكه والأثمار فجاؤا إليها ثمار جديدة وفواكه كثيرة يعرفها المستقصى من "توزك بابري" و"توزك جهانكيري" وقاموا بعملية التلقيح والتهذيب لبعض الثمار الهندية حتى جاء أشهى وألذ وألطف كما كان الشأن مع "المانجو" أشهر فواكه الهند وألذها وأفضلها وكذلك إنهم قاموا إنتاج صناعة القماش والمنسوجات وقد أنشأ ملك غجرات السلطان محمود بن محمد الغجراتي (1512م) مصانع كثيرة للنسج والوشي والتطوير والنحت ومصنوعات العاج والمنسوجات الحريرية وصناعة الورق وقام الملك بتكثير الزراعة، وغرس الأشجار المثمرة وإنشاء

الحدائق والبساطين ووفد عليه البناؤن والمعمارون واهل الحرف والصنائع من جميع أنحاء بلاد فقاموا بحرفهم وصنائعهم فصارت "غجرات" رياضاً مخضرة بكثرة الحياض والآبار والحدائق والزرع والفواكه الطيبة وأنشأ اكبر معامل كبيرة للنسيج وكانت للمسلمين إصلاحات دقيقة عظيمة التأثير في تعيين الضرائب على حسب الأراضي وساحة العقارات والمضارع وتنظيمها وتشريعات مضبوطة وتنظيم المالية وإصلاح نظام النقود لم يكن للحكومات الهندية السابقة عهد بها. قد كان لشير شاه السوري الملك المقنن والإداري العبقري فضل التقدم والابتكار وتبعه "اكبر".[15]

أنشئت الشوارع الطويلة التي تجمع بين شرق الهند وغر بها وتمتد على طول الهند وعرضها اشتهر منها الشارع الطويل الذي أنشأه شير شاه السوري من سنار غاؤن أقصى بلاد بنغال (بنغلاديش) إلى ماء نيلاب من أرض السند (في باكستان الغربية) مساحته 4832 كم وأسس، في كل ثلاثة كلومترا رباطاً وعين في كل رباط فرسين للبريد فكان يرفع إليه أخبار نيلاب إلى أقصى بلاد بنغال مدة قليلة وغرس الأشجار المثمرة بجانبي الشارع يستطل بها المسافر ويأكل منها.

ومن أهم المباني التي بناها المسلمون في البلاد: "أجمل المآذن الهندية القديمة "قطب منار" في مسجد قوة الإسلام بمدينة دهلي وقد شيدت للأيبك قطب الدين وأتمها خليفته التمش من سلاطين الهند في بداية القرن

Jawaharlal Nehru University Library

السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ولعلها أفخم المآذن الإسلامية على الإطلاق ويبلغ ارتفاعها 5 و 73 مترا وقطر قاعدتها 14 مترا وطبقاتها الثلاث السفلية من الحجر الأحمر[16]

وكان اكبر راغبا في وتشيد المباني فقد أقام في عشر سنين بدأت من عام 1540م مدينة "فتح بور" وقصورها التي تذكرنا أنقاضها العجيبة بمدن رواية ألف ليلة وليلة البائدة والملك "شاهجان" بدأ ببناء تاج محل في عام 1631م ليكون ضريحا لزوجته التي لم يقدر على سلوها فعزم على إقامة إثر لها أجمل عن كل ما عرفه العالم، فأنفق ستين مليونا ربية تقريباً في إنشاء ذلك الأثر العظيم، يعد السياح تاج محل من عجائب الدنيا وبنى المسجد الجامع في دهلي على ساحة فسيحة يوصل إليه بدرجات عظيمة مؤدية إلى مدخل واسع وبنى من حجارة رملية أحمر أو قلعة حمراء. تم بناءها عام 1648م وهو اجمل القلع الإسلامية.[17]

وإذا رأينا دور الملوك والسلاطين في مجال العلم فوجدنا انهم كانوا في كل عهد يتنافسون في جلب العلماء والباحثين من الخارج فتوجه العلماء إلى الهند جماعة وفرادى بعد أن كسدت سوق العلم في بغداد والمدن المجاورة بها، وقضت غارة التتار على النشاط العلمي وعلى الأمن وهدوء البال في "تركستان" و"إيران" فقد ذكرت كتب التاريخ أن اكثر من عشرة آلاف عالم توجهوا إلى الهند في عهد علي عادل شاه (1580م) أمير

"بيجابور".

وانتقل إلى الهند من "خراسان" و"العراق" و"سمرقند" عدد لا يعد ولا يحصى من العلماء طمعاً في نيل الشرف من السلطان كما ذكر المؤرخون عن السلطان محمود الخلجي أنه أرسل بعثات كثيرة إلى أنحاء العالم واستدعى العلماء وأصحاب الكفاءات حتى صارت "مالوه" في عهده "اليونان الثانية"

ولما توجه الشيخ المحدث شمس الدين المصري المحدث في عهد السلطان علاء الدين الخلجي (1316م) حمل معه اكثر من أربع مأة كتاب في الحديث وحده إلا أن العهد المغولي سجل الرقم القياسي في العطف على العلماء وترغيبهم في التوجه إلى الهند وتأمين الراحة وفتح مدارس ومراكز علمية لهم وفتح مجالات البحث والمناقشة ونقل العلوم إلى اللغة الهندية واهتمامهم الشخصي واهتم الإمبراطور "اكبر" كثيرا بنقل الكتب.

ومن الملاحظ هنا أن العلماء الهنود وضعوا كتبا كثيرة متضمنة بشتى الموضوعات الدينية الإسلامية والأدبية ونالت بعض هذه الانتاجات العلمية والأدبية شهرة واسعة في العالم العربي والإسلامي وعلى سبيل المثال ألف العلامة حسن بن محمد الصغاني اللاهوري كتابه الجليل "العباب الزاخر واللباب الفاخر" الذي يشتمل على عشرين مجلداً "مجمع البحرين في اللغة" في 14 مجلدا "ومشارق الأنوار النبوية صلى الله عليه

وسلم من صحاح الأخبار المصطفوية" وكذلك وضع محمد مرتضى الزبيدي "تاج العروس في شرح القاموس" وألف محمد علي التهانوي كتابه المشهور "كشاف في اصطلاحات الفنون" في مجلدات ضخمة، وألف أبو الفيض فيض تفسيره الفريد "سواطع الإلهام" و"فتح البيان في مقاصد القرآن" من تأليفات الأمير صديق حسن خان و"لمعات التنقيح على مشكاة المصابيح" لعبد الحق بن سيف الدين الدهلوي و"كنز العمال في سنن الأقوال والافعال" لعلي بن حسام الدين المتقي البرهانفوري ومجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار" لمحمد بن طاهر الفتني و"حجة الله البالغة" للشاه ولي الله الدهلوي و"مسلم الثبوت" و"سلم العلوم" لمحب الله بن عبد الشكور البهاري و"الفتاوى الهندية" التي جمعها نخبة من العلماء الكبار و"حاشية الهداية" و"السعاية في كشف ما في شرح الوقاية" لعبد الحي فرنكي محلي و"تحفة المجاهدين في أخبار البرتكالين لزين الدين بن عبد العزيز المعبري المليباري و"سبحة المرجان في آثار هندوستان" للسيد غلام آزاد البلغرامي، و"فقه اللسان" للسيد كرامت حسين الكنتوري، و"المقامات الهندية" لأبي بكر العلوي السورتي، وغيرها من الكتب العربية التي تضارع الإنتاجات العربية في العلوم الإسلامية والعربية في شتى البلاد."[18]

ومما لا شك فيه أن الهند ظلت تتمتع بالأمن والرفاهية والرقي

والازدهار خلال العصور الإسلامية، فازدهرت فيه الزراعة وارتقى العمران، وتقدمت الصناعة، فتوفرت الخيرات وزادت وارتقى العمران، فقد كانت من أغنى البلدان على وجه الأرض حتى سماها بعض المؤرخين بـ "الطائر الذهبي" إلا أن أحوال الهند الثقافية والدينية والاقتصادية قد تدهورت في عهد حكم الاستعمار الإنجليزي، لأن الإنجليز قد نقلوا ثروات الهند الهائلة إلى بلادهم واستخدموا اقتصاد الهند وتجارتها وذخائرها العلمية والثقافية لصالح أهدافهم التوسيعية.

شركة الهند الشرقية الإنجليزية

ومن خلال هذا التفتت والضعف، أخذ البرتغال وشركة الهند الشرقية الإنجليزية والشركات الهولندية والفرنسية تتصارع لبسط نفوذها على أرض هذه الدولة الإسلامية الواسعة بواسطة شركاتها التجارية وقد بدأت هذه الشركات عملها التجاري في أرض الهند،[19] وكانت تسعى ما أمكنها السعي حينذاك لتحظي بالمقام الأول في الحصول على مركز تجاري، يتيح لها مكسبا تجاريا في محصولات الهند التي كانت تصدرها إلى أوربا وكان الأباطرة في أوج قوتهم لا ينظرون إلى هؤلاء إلا نظرتهم إلى تاجر يريد أن يكسب مالا من تجارته لا أن يكسب أرضا ويبسط نفوذا ولذلك تركوهم يتاجرون وربما منحوهم بعض التسهيلات التجارية وقد استطاعت شركة الهند الشرقية الإنجليزية أن تحظي أخيراً بالمقام الأول وتقضي على النفوذ

البرتغالي والهولندي والفرنسي في الهند ويخلو لها الجو تفعل ما تريد حتى وصل نفوذها إلى الإمبراطور المسلم المتمكن على عرش دهلي فسلبت كل نفوذ لـه وأصبح مجرد صورة (Puppet) لا روح فيها ولا نفوذ لها، وأخذت تضرب الأمراء بعضهم ببعض وتعين بعضهم بالمال والرجال ضد البعض الأخر.[20]

بدأت شركة الهند الشرقية الإنجليزية أعمالها على مستوى صغير وحتى عام 1623م أقامت هذه الشركة مصانعها (المراكز التجارية) في سورت وبروش (Bharuch) وأحمد آباد وآجره ومسولي باتم. وقد حاولت مع أعمالها التجارية والسياسية أن تخوض في معركة القتال لاحتلال المناطق الهندية حيث أنشأت مصانعها.[21]

إن الظروف في دكن كانت موافقة للإنجليز أكثر مما كانت في المدن الهندية الأخرى لأنه لم تكن هناك حكومة هندية قوية تصادمهم فقد إنحسرت الإمارة العظيمة على جى نكر في عام 1565م وتأسست إمارات صغيرة وضعيفة لا تعد ولا تحصى، أقام الإنجليز مصنعهم الأول في منطقة دكن عام 1611م في مدينة مسولي باتم وسرعان ما جعلوا مدينة مدراس مركزا لنشاطاتهم وأنشأوا في منطقة مصنعهم قلعة صغيرة وسموها "قلعة سينت جارج"[22]

انتزعت شركة الهند الشرقية الإنجليزية "مومبائي" من أيدي

البرتغال وجعلتها مقرا لها في السواحل الغربية بدلا من سورت، وفي الهند الشرقية أقامت الشركة مصانعها في عام 1633م وحصلت على الإذن القيام بالأعمال التجارية في "هوغلي" (بنغال) وسرعان ما أقامت مصانعها في مدينة "بتنه" و"داكا" و"بالاسور" والمدن الأخرى لولايتي بنغال وبيهار وهي الآن كانت تحاول أن تحصل على المستعمرات المستقلة في ولاية بنغال وكان تحلم أن تحصل على السلطة السياسية في الهند كي تقوم بالتجارية فيها بالحرية بعد أن تضغط على السلطان ضغطاً سياسياً وتستطيع أن تجبر الهند على أن تبيعهم سلعها ومنتوجاتها بأسعار رخيصة وتشتري منتوجات الشركة بأسعار غالية وهي كانت تود أيضاً أن تخرج الشركات الأخرى من الهند وتجعل تجارتها حرة من سياسة الحكومة الهندية وتقييداتها[23]

وانكشف العداء بين الإنجليز والسلطان المغولي حينما أعلنوا بالحرب ضده باحتلال هوغلي عام 1686م وانهزمت قوات الشركة شر هزيمة في هذه الحرب وتم اخراجهم من مصانع بنغال وأجبروا على أن احتموا بجزيرة صغيرة على شاطئ "كنكا" واستولى المغول على مصانعهم في سورت ومسولي باتم ووشاكاباتم وحاصروا قلعتهم في مومبائي وفي نهاية المطاف طلب أصحاب الشركة العفو متضرعين إليهم فعفا عنهم الحكام المغوليين لأنهم ما كانوا يدركون أن هؤلاء التجار الأجانب غير مضرين

ظاهرا يصبحون خطراً كبيراً للبلاد فإنهم كانوا يعتقدون أن التجارة الأجنبية للشركة مفيدة للتجار والصناع الهنود وتزداد الأموال في خزانة الدولة وأذن لهم الملك المغولي أورنك زيب عالمكير التجارة من جديد إذا دفعوا غراماً ماليا قدره مأة ألف وخمس وعشرون ألف روبية وفي عام 1698م حصلت الشركة على الإقطاعية في ثلاث قرى وقامت ببناء قلعة وليام (Fort William) حول مصنعها في غوفيند فور وفي فترة قصيرة أصبحت هذه المدن الثلاث مدينة كبيرة سميت "كولكاته".

وفي عام 1717م حصلت الشركة من السلطان فرخ سير على إذن ملكي كان يقر أن التسهيلات التي تم الحصول عليها في عام 1691م ستبقى بل أضيفت إليها ولاية غوجرات ودكن ولم يزل يتصاعد اقتصادها أكثر فأكثر. وفي عام 1740م بلغت الإيرادات التجارية البريطانية إلى الهند إلى مليون وسبع مأة ألف وخمس وتسعين ألف جنيه استرليني مقابل نصف مليون جنيه استرليني في عام 1708م. وأصبحت المستعمرات البريطانية في مدراس ومومباي وكولكاته هو مراكز للرخاء والترف وأخذ التجار الهنود يتجهون إلى تلك المدن.

وبموجب ميثاق عام 1600م تمتعت الشركة وحدها بحق التجارة في الشرق رأس الرجاء الصالح (Cape of Good Hope)[24] إلى مدة 10 سنوات والآن أصبحت الشركة مؤسسة محصنة وكانت رواتب موظفي

الشركة قليلة جدا وكان مصدرهم الأساسي الذي من أجله كانوا يأتون إلى الهند للاشتغال بوظيفة في الشركة والشركة كانت تأذن لهم بالتجارة بصورة مخصصة وبينما كانت الشركة وحدها تستحق بالقيام بالتجارة بأجمعها بين أوربا والهند.

قام الأمير سراج الدولة في بنغال بالهجوم على حصونهم ليقضى عليهم ويريح البلاد من شرورهم عام 1170هـ/1757م، كان من الممكن أن يحقق للبلاد ما تصبو إليه ويرمي بهم في البحر ولكن لولا خيانة بعض قواده فما كانت نهايته الفشل والقبض عليه وقتله فبدأت سلطة بريطانيا السياسية على الهند من حرب بلاسي عام 1757م التي هزم الإنجليز فيها نواب بنغال سراج الدولة شر هزيمة ثم أقعدت الهزيمة البلاد في حرب بكسر عام 1764م التي قاتل فيها مير قاسم ونواب أودة شجاع الدولة والملك شاه عالم الثاني الفار اللاجئ معاً ضد الاستعمار البريطاني الغاشم وهذه الحرب أثبتت استيلاء بريطانيا على بنغال وأوريسه وبيهار.[25]

ثم نشبت معركة هائلة بين الإنجليز السلطان تيبو في الـ 4 من شهر مايو عام 1799م انهزم فيها السلطان تيبو بعد قتال عنيف وقتل شهيداً[26] وفي عام 1817م حارب الإنكلز المرهتة وهزموهم شر هزيمة، وهكذا نجحت الشركة في احتلال الهند كلها في الفترة ما بين عام 1818م و عام 1857م ففتحت السند وبنجاب وضمت أودة والولايات المركزية والولايات

الصغيرة الأخرى إلى إمارتها وموجز الكلام أن الشركة جعلت الهند كلها حتى عام 1856م تحت الانتداب البريطاني.[27]

ثم بدأت الحركة الإصلاحية تحت قيادة السيد احمد الشهيد في بداية القرن الثالث عشر للهجرة، ودعت هذه الحركة كافة المسلمين الهنود إلى اتباع التعليم الإسلامي وحمل السيد احمد ورفقاؤه على الجهاد في سبيل الله لاستئصال جذور القوة الاستعمارية من الأراضي الهندية كلها، وبذلوا الجهد المستطاع لتأسيس دولة إسلامية في شبه القارة الهندية، وواصلوا كفاحهم ضد أعداء الإسلام والبلاد لتحقيق أهدافهم النبيلة حتى استشهد السيد أحمد وإسماعيل ومعظم كبار أصحابهما في ساحة بالاكوت، في عام 1831م، ولكن هذه الحركة تركت بصمات عميقة على أفكار المسلمين الهنود.

وفي أعقاب ذلك تصاعدت إجراءات الحكام الإنجليزية القاسية واعتداءاتهم السافرة على الإسلام والمسلمين بحيث أن الحكومة الإنجليزية سدت في وجوه المسلمين جميع أبواب الوظائف الحكومية ومناصبها، وقامت بمصادرة أوقافهم السخية التي كانت تساند المعاهد الدينية والمؤسسات الخيرية الإسلامية وتمولها بوجه عام، ومن اللافت للنظر أن قسوة عمال "شركة الهند الشرقية" وسوء معاملة مسئوليها مع المواطنين الهنود عامة ومع المسلمين خاصة قد مهدت الطريق إلى الثورة الكبرى

وقعت في عام 1857م، وقد شارك في هذه الثورة الكبرى المسلمون والهندوس جنبا إلى جنب وسرعان ما غطى لهيبها معظم أنحاء البلاد، واندلعت معارك عنيفة دامية بين الهنود وقوات الإنجليز.

المسيحية في الهند

دخلت المسيحية في شبه القارة الهندية في القرن الاول للميلاد ومنذ ذلك الحين ما زال المسيحيون ينشرون دينهم في هذه البلاد إلا أن هذه الديانة أخذت تتمتع بالتشجيعات الحكومية وتسهيلاتها ومساعداتها منذ بداية القرن التاسع عشر في الهند. فتتابعت الإرساليات التبشيرية من قبل الجمعيات والمؤسسات المسيحية الأوربية إلى الهند منذ 1813م عندما تم الاتفاق بمحاولة وليرفورس عضو البرلمان على قرار ينص أنه إن أراد المسيحيون الذهاب إلى الهند لتنصير الهنود فلهم الحق والخيار في هذا الشأن ومن هنا أخذت الفرق المسيحية المختلفة تنشر المبادئ المسيحية في أرجاء الهند وتبث الدعايات المسمومة ضد التعاليم الإسلامية ومعتقداتها وكانت بعض الأحيان تهاجم على المدارس والمساجد وتعقد الحفلات والحلقات والاجتماعات في الأماكن العامة وتمارس نشاطاتها ويلقى علماءها الخطبات ضد الإسلام والديانات الأخرى وبالإيجاز كان المسيحيون يبذلون قصارى جهودهم لتحويل هذه البقعة من الأرض إلى بلد مسيحي.

فأسرع البرتغاليون إلى الكشف عن حقيقة نواياهم التنصيرية منذ أن وطئت أقدامهم شواطئ الهند الغربية عام 1498م وصدقت أعمالهم نواياهم فأنشأوا الكنائس في "جوا" و"كوتشين" و"ملقا" وسمحوا الدعاة الكاثوليك بالتبشير المسيحي، وكان ملوك البرتغال يشعرون بأن عبء نشر العقيدة المسيحية على عواتقهم واعتقدوا أنه من مهمات الحكومية وقد كانوا يراعون مصالح الكنسية في البلاد ويدفعون كل نفقات تأسيس الكنائس في الشرق وأعطوا الكنائس حق بسط سلطاتها على الهند الشرقية.[28]

منذ أن استولى البرتغاليون على "جوا" عام 1530م شرعوا بإدخال الناس في الكاثوليكية قسراً وعاملوهم بمنتهى القسوة والوحشية ولم يسمحوا لغير المسيحيين بالعيش معهم في "كوتشين" و"جوا" وسائر مستوطناتهم وعندما زار القديس فرانسيس كزافيه المستعمرات البرتغالية في الهند عام 1548م أدخل قسرا كثيرا من الناس في النصرانية، ولم ينج البراهمة من التنصير القسرى حيث تم تنصير آلاف الكهنة البوذيين. ولما شعر المنصرون البرتغاليون أن العلماء الهنود يحرضون الناس على عدم قبول النصرانية وينصحونهم بعدم اعتناق الدين المسيحي فقد قاموا بإيذاء العلماء وقتلهم ليفزع المسلمون الممتنعون عن الدخول في النصرانية.

ولما أدرك سيمون جوتهلو وغيره من الضباط خطأ طريقتهم في تنصير الهنود أرسلوا أوامر كثيرة لهم بوجوب التخفيف في وسائل التنصير

الوحشية التي تنفر الناس منهم ومن دينهم.

واستفاد الإنجليز من تجارب البرتغاليين فأظهرت شركتهم اهتماما بالتجارة دون التنصير ولكنها دعمت المنصرين سرا أوحت إليهم عدم الإتيان بأي عمل يضر مصالح الشركة أو يثير الناس عليها من الناحية الدينية وبقي المنصرون عاملين على هذه الخطة معتبرين بما جرى للبرتغاليين حتى عام 1757م عندما أصبحت شركتهم قوة كبيرة وسمحت لهم بعد ذلك بالتنصير العلني يشرط أن يبدأوا بالمناطق التي تسكنها اغلبية هندوكية خشية إثارة المناطق الإسلامية فانتشرت الكنائس بهدوء وشكلت الجمعيات التنصيرية وقد أنشأ الإنجليز أول هيئة تنصييرة بروتستانتية عام 1792م وفي عام 1795م أسست جمعية لندن التشيرية كما أسسوا جمعية التبشير للكنيسة الإنجليزية عام 1799م وبدأت البعثات تأخذ الطابع العلني الرسمي حيث اتخذت بعثة برئاسة وليم كاري مقرا لها في سيرامبور وقامت بالتنصير العلني في كلكتا بمساعدة مارشمان واضع أسس البعثات التنصرية البروتستانية في الشرق كله.[29]

وانتشرت الإرساليات المختلفة عقب إرسالية (كاري) والتقت الدوافع السياسية الاستعمارية بالدوافع التنصيرية الدينية بل إن المنصرين يعدون رسل الإستعمار ولذا تنبت الحكومة الإرساليات التنصرية ورعت مصالحها وأغدقت عليها، وتاريخ الاستعمار البريطاني في الهند يشهد بهذه العلاقة

المتينة بينه وبين التنصير فالحكام الإنجليز يصدرون أوامرهم للجيش والمواظفين بتسهيل مهمة المنصرين والقضاء على العقبات التي تعرقل جهودهم في نشر النصرانية.

فالواقع أن الغزو الإنجليزي الهند لم يكن غزوا سياسياً فقط وإنما كان ثقافيا أيضا حيث يستهدف التقاليد القومية الهندية بوجه عام والتراث الثقافي والديني الإسلامي بوجه خاص وذلك تمهيداً لغرس الثقافة المسيحية ونشرها و ترويجها بين سكان هذه البلاد فالضغوط من قبل الحركات التنصيرية اجبرت الحكومة البريطانية على إغلاق المعاهد التعليمية للمسلمين في دهلي ولاهور وآجره وغيرها من المدن في غجرات وبيهار، ومدراس وبنغال وذلك لأنها كانت تعتمد في بقائها ونشاطاتها على التبرعات السخية من أمراء المسلمين والأوقاف والمؤسسات الإسلامية وقد اصبح الأمراء والأثرياء ضحايا لهمجية الإستعمار وصارت الأوقاف والمؤسسات الخيرية ملكا للقوة المستعمرة التي أصبحت جاثمة على صدر الشعب الهندي عاملة على تخلفه وتعطيل سيرته الخضارية والقضاء على الثقافة الدينية الإسلامية بوجه خاص حيث لم يكن من صالحها أن تكون المعاهد والمدارس الإسلامية دائبة على تنشئة الأجيال القادمة وتربيتها وإعدادها ونتيجة ذلك أصيب نظام التعليم الإسلامي بتعطل كلي.[30]

ولما دخلت الهند تحت حكم التاج البريطاني بعد ثورة عام 1857م

صرح أحد أعضاء البرلمان الإنجليزي بما تنطوى عليه صدورهم تجاه الهند فقال "الحمد لله الذي أرانا هذا اليوم الذي أصبحت فيه الهند تحت سيطرة انجلترا وأمكن أن يرفرف علم المسيح على كلها وعلينا أن نجمع قوانا ونبذل جهدنا في تنصير الشعوب الهندية ولا نترك الكسل يستولي علينا.

فاسرع الإنجليز بجهودهم المكثفة إلى تصفية كبار العلماء المسلمين وإبادة معاهدهم التعليمية وتمثيلها بكل طريقة ممكنة وابراز المسيحية بكل ما فيها من مغريات مادية تنفيذا لخطتهم لاستهواء جماهير الشعب الهندي لاعتناق الدين المسيحي فشهدت البلاد ما شهدته وهم استغلوا في هذا الخصوص أوضاع الفقر والتخلف التي كانت يعيشها الشعب الهندي بوجه عام وكان هذا جزء سياسة الإنجليز للإستيلاء على البلاد عن طريق الغزو الديني والثقافي وهذه الأوضاع خلقت بالطبع تحديا خطيراً للإسلام والمسلمين.

ما زال الشعب الإسلامي الهندي أرهف شعوراً دينياً وأرق وعيا إسلامياً وأشد غيرة على الإسلام من البلاد الإسلامية الأخرى وكان من نتائج هذه الغيرة الدينية التي يمتاز بها الشعب المسلم الهندي ومبادرته إلى قبول تحديات التشبير التي وجهت إلى شبه القارة الهندية بعد قيام الحكم الإنجليزي المسيحي المنتصر الثائر الموتور أن وضعت أفضل الكتب

وأقواها واتخذت وسائل أخرى في الرد على المسيحية ونقد العهد القديم والعهد الجديد (التوراة والانجيل) و واجه الشعب المسلم الهندي الدعوة المسيحية وجها لوجه وخاض هذه المعركة قبل أي شعب آخر في أي قطر إسلامي عربي وقد قيض الله لقيادة هذه الحركة الهجومية – لا الدفاعية- خيرة رجال هيأوا نفوسهم لهذا العمل الخطير الدقيق وفي مقدمتهم وعلى رأسهم العلامة المجاهد الشيخ رحمت الله الكيرانوي وقد تهيأت عنده جميع المؤهلات العلمية والجدلية والوهبية لإنجاز هذا العمل إلا معرفة اللغة الإنجليزية والاطلاع على المصادر الأجنبية بطريق مباشر هناك ساق الله إليه مسلما غيوراً هو الدكتور محمد وزير خان الذي سافر إلى لندن عام 1832م يدرس الطب الجديد وقد نال فيه شهادة عالية وأتقن اللغة الإنجليزية ودرس اللغة اليونانية وعنى بدراسة المسيحية من مصادرها الأصلية واقتناء كتبها واستصحب هذه المكتبة الثمينة إلى الهند استفاد بها الشيخ رحمت الله كل الإستفادة.

الهوامش

[1] D.R. Khullar: India a Comprehensive Geography, p.3
[2] D.N. Jha, Ancient India, P.41-61 (in Historical Outline)
[3] السيد مولانا ابو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص61
[4] مولانا عبد ا لحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص243
[5] السيد سليمان الندوي: عرب و وهند كى تعلقات، ص13
[6] البلاذري: فتوح البلدان، ص424
[7] المصدر السابق، ص429
[8] Ishwari Prasad: History of Medieval India, p.71-129
[9] الدكتور غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص185-202
[10] مسعود عالم الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ص121 و 122
[11] B.L. Grover/S. Grover: A new look on modern Indian history, p.1,2,3
[12] أبو الحسن علي الندوي: المسلمون في الهند، ص12 و 13
[13] نفس المصدر، ص14
[14] Jawaharlal Nehru: Discovery of India, p.227-288
[15] Satish Chandra: Medieval India (NCERT), p.183-188 and 195-203
[16] الدكتور زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص149 و 150
[17] الدكتور غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص191-202
[18] ثقافة الهند، العدد 1، 2003/2، ص58 و 59
[19] مولانا عبد ا لحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص243، 244، 245
[20] Arjun Dev, Indira Arjun Dev:Modern India (NCERT), p.32-56
[21] Bipan Chandra: Modern India, p.52-53
[22] Ibid, p.54
[23] ibid, p.54,55,56
[24] ibid, p.65-71
[25] ibid, 73-74
[26] مولانا عبد الحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص247
[27] Arjun Dev, Indira Arjun Dev: Modern India, p.54
[28] الدكتور محمد عبد القادر خليل: المناظرة الكبرى نقلا عن آسيا والسيطرة الغربية لبانيكار، ص122
[29] المصدر السابق، ص74 و 75
[30] عبد الحق: الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية منذ الاستقلال، ص11 و 12

البـــــــاب الثاني

الشيخ رحمت الله الكيرانوي
حياته وشخصيته

لقد أنجبت الهند عدداً كبيراً من العلماء والدعاة الذين قاموا بمساهمتهم في مختلف مجالات العلوم الإسلامية من التفسير والحديث والفقه والمنطق والفلسفة والتاريخ والسيرة شهد لهم علماء العرب بفضلهم وعكفوا على كتبهم ومؤلفاتهم ينقلون آرائهم وأفكارهم ويقتبسون عباراتهم ويستدلون ويحتجون بها وقد أنجبت كذلك علماء فلما يوجد نظيرهم في الذكاء وخصوبة الفكر والابتكار العلمي وأنجبت كذلك فضلاء لا يضارعوهم رجال البلاد والأخرى في كثرة المؤلفات والانتاجات العلمية، وقد أنتجت من الملوك رجالا يتفردون في حسن سياستهم وتنظيمهم للدولة وسن القوانين العادلة وفي فضائلهم الخلقية والعلمية والعملية والجمع بين الدين والدنيا.

ومن هؤلاء العلماء البارزين الشيخ رحمت الله الكيرانوي الذي لعب دوراً بارزاً في الردّ على العقائد الباطلة المسيحية لم يسبق أحد إليه من قبل وأتى في ذلك بالحجج والبراهين القاطعة ولقى خصومه بيده من الهزيمة ما لم يلقوه من قبل وانتهب إليه الرئاسة في هذا الفن سلم لـه معاصروه وأقرانه وعلماء العالم الإسلامي بأمانة وزعامته في الموضوع إنه وقف في الدفاع عن الإسلام وتمحيص الحق والباطل وإعادة الثقة إلى نفوس المسلمين ورفع معنوياتهم واعتزازهم بفضل دينهم على الأديان كلها وإعجاز كتابهم وخلود رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم في أحوال رهيبة وساعات عصيبة

ووقف في وجه الخصوم الذين كانوا ينتمون إلى الفاتحين الذين يتمتعون بأكبر سلطة وقوة في ذلك العصر وحكومات قوية ومملكة لا تغرب فيها الشمس ومدنية زاهرة دافقة بالحياة والنشاط و بالعكس كان هو ينتمى إلى شعب جريح القلب والجسم متحطم الأعصاب، ضعيف الثقة بتراثه وأمجاده يعيش في عزلة عن العالم ينظر إليه الإنجليز كالمنافس الطبيعي الوحيد والخطر الحقيقي على زحفهم وتقدمهم في آسيا وأفريقيا بصفة عامة وفي شبه القارة الهندية بصفة خاصة وقد انتشر القسوس النصارى الأوربيون والمتنصرون الهنود في مدن الهند وقراها بحماس زائد ونشاط كبير يدعون إلى النصرانية ويصممون على إبدال أديان الهنود واعتناقهم بالنصرانية لان المنصرين أيقنوا أن الهنود وخاصة المسلمين لا يستطيعون مقاومة الدعاة النصارى وليس لهم القدرة على رد اعتراضاتهم على الإسلام دلائلهم لان الدعاة النصارة والأوروبيين كانوا يتمتعون بمعونات الحكومة الإنجليزية وعناياتها وعلى الرغم من ذلك واجهت الشعوب الهندية عامة والشعب المسلم خاصة تحدياتهم ودعوتهم التنصيرية وجها لوجه.

أسرته

ينتمى الشيخ رحمت الله إلى عائلة شهيرة وأسرة كريمة إشتهر أفرادها بالعلم والطب والمناصب العالية وينتهى نسبه إلى الإمام العادل الخليفة الثالث رضي الله عنه عثمان بن عفان أول، من قدم الهند من آله هو الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السرخسي الذي عينه السلطان محمود

الغزنوي قاضياً للعسكر واستوطن بلدة "كاذرون" من توابع شيراز، ثم استصحبه الملك في حملته الثانية عشرة على الهند. فاختار الشيخ عبد الرحمن بلدة "باني بت" مسكنا لـه وأذن لـه السلطان بالإقامة فيها حيث قضى طول حياته وتفرغ للعلم والعبادة والدعوة إلى الله حتى توفي بها وكان الشيخ رحمت الله من ذرية هذا المجاهد الغازي.[1]

وكان والده خليل الله عالماً فاضلاً ومن ذوي المناصب العالية في الحكومة ومن أجداده الحكيم عبد الكريم المعروف بحكيم بينا كان طبيباً خاصاً للأمبراطور جلال الدين محمد أكبر لقبه السلطان بشيخ الزمان وهو والد الحكيمين محمد حسن وعبد الرحيم ولما مرض الإمبراطور محمد أكبر ولم يحس الأطباء علاجه وطالت أيام مرضه فطلب الحكيم عبد ا لكريم من "باني بت" واشترك مع أبيه الحكيم محمد حسن في معالجة الإمبراطور فشفاه الله على أيديهما فسر أكبر لإفاقته من المرض ومهارة الحكيمين في العلاج وحذقهما في الطب ومنحهما الإمبراطور أرضا زراعية واسعة بمقاطعة كيرانة بمرسوم سلطاني مؤرخ عام 915هـ ولقب الحكيم عبد الكريم بشيخ الزمان واتخذه طبيباً خاصا لـه.

وفي عهد جهانكير قد تمتع الحكيم محمد حسن بمناصب عالية طبيباً خاصا لـه ولقبه بمقرب خان ونائب السلطان وجعله حاكماً في "دكن" عام 1618م ثم أعطاه ولاية "بهار" وكذلك بعد سنوات قد فاز مقرب خان ولايتي "دهلي" و"آجره" وقد امتازت هذه الأسرة بالعلم والحكمة والأدب

والوظائف الكبيرة طيلة العصور الإسلامية الزاهرة في الهند وعندما منحها الإمبراطور محمد أكبر مقاطعة "كيرانة" سنة 1509م انتقلت الأسرة العثمانية من "باني بت" إلى "كيرانة" وبنت القصور والأسوار العالية والبوابات الكبيرة فيها حسب طبقا لنظام العمران في ذلك العهد قامت بتوسيع القرية وتنظيمها وأقامت فيها دور القضاء والهيئات الحكومية.[2]

مولده ونشأته

ولد الشيخ محمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني في بلدة كيرانه من توابع دهلي عاصمة الهند في شهر جمادى الأولى عام 1233هـ المصادف 1818م ونشأ تحت رعاية أسرة واسعة الثراء والجاه[3] وقد امتازت أسرته بالخصائص الدينية والاتصال بالخلق الفاضلة والعادات الكريمة وكذلك جميع افراد الأسرة كانوا يتمتعون بالعلوم الدينية والفنون الفائقة لذلك نشأ الشيخ ترعرع في معهد العلوم الدينية والفنون المختلفة.

دراسته وأساتذته

بدأ تعليمه في السادسة من عمره في قريته على والده وكبار أفراد العائلة المشهورين بالعلم والفضل والدين حسب النظام المتبع في ذلك العهد ولما بلغ الثاني عشرة من عمره حفظ القرآن الكريم وأتقن اللغة الفارسية وقرأ كتب الشريعة الإسلامية واللغة العربية على أفراد عائلته في منطقة "كيرانة" ثم ارتحل إلى دهلي لطلب العلوم العالية فالتحق بمدرسة الأستاذ

محمد حيات وسكن في مبناها وفي اثناء إقامته في المدرسة سافر والده مولانا خليل الرحمن إلى دهلي حيث عينه الملك "هندو راؤ" كاتب الحسابات وأعطاه بيتا واسعاً للإقامة فاستصحب الشيخ رحمت الله مع والده في البيت واشتغل في دراساته حتى أخذ حظاً وافراً من العلوم التي اظهرت ذكائه وتفوق على أقرانه ثم ارتحل إلى مدينة "لكناؤ" كانت تعد في تلك الأيام مدينة الحضارة حيث تلمذ على المفتي سعد الله ثم تخصص في آداب اللغة الفارسية على يد الإمام بخش الصهبائي[4] وكذلك أخذ علم الطب من الطبيب البارع محمد فيض ودرس العلوم الرياضية والهندسية على يد الأستاذ "لوكارثم" صاحب المؤلفات الرياضية الشهيرة وكذلك أخذ العلوم والفنون من الأساتذة البارعين والماهرين الآخرين.[5]

ولما بلغ الشيخ رحمه الله من عمره 23 سنة تزوج من إبنة خالته عام 1840م[6] وبعد ان أتم دراسته عين كاتبا للحسابات بمكان أبيه وجعل الملك أباه خليل الرحمن ناظراً لأملاك الحكومة ولكن والده لحق بربه الأعلى بعد مدة قليلة فاضطر الشيخ إلى الإقامة في "كيرانة" وبدأ هناك مجالس الدرس والإفتاء نظرا إلى أسلوبه وعمقه في العلم ازداد إقبال الطلاب على دروسه يوماً بعد يوم وقد تخرج منه كبار المدرسين والمؤلفين ومؤسسى المدارس في أرجاء الهند ولكن ازدياد النفوذ التنصيري في الهند شغله عن مواصلة التدريس فتفرغ للتأليف في الرد على المنصرين الحملات التنصيرية وقد ألف في ذلك مؤلفات كثيرة سيأتي ذكرها في الباب

الثالث.

ثورة 1857م واشتراكه فيها

قد لعب العلماء الهنود دوراً كبيراً في إشعال الثورة ضد الإنجليز عام 1857م وانفقوا أموالهم وضحوا أنفسهم في سبيلها وجاهدوا لإخراج المستعمرين من أرض الهند وقد أصدروا البيانات الكثيرة وألقوا الخطب ووزعوا المنشورات الداعية إلى ذلك، حتى اشتعلت نيران الثورة في أكثر مناطق الهند وقام عامة الناس لمقاومة القوات المستعمرة وشمروا عن ساق الجد للحفاظ على مصالح البلاد، والدفاع عنها من القوة الأجنبية ولكن ما هي الأسباب والوجوه التي دعتهم إلى هذه الثورة العظيمة فيقول الضابط البريطاني William Adwards في عام 1859م عن أسباب ثورة 1857م.

"كان البوليس عذابا للناس وأصبحت أعمال النهب والقتل والاستغلال التي ارتكبها رجال البوليس من أكبر أسباب السخط الذي أحدثته ضد الحكم الإنجليزي"[7] فثورة 1857م كانت في الحقيقة نتيجة لسياسات الشركة المنحازة تجاه المواطنين الهنود. كان الإنجليز يسيطرون البلاد منذ مأة سنة ماضية شيأ فشيأ وفي خلال نفس الفترة كان يشتد سخط الشعب ونفوره واضطرابه من الحكم الأجنبي الغاشم تدريجياً وهذا النفور أصبح في نهاية المطاب ثورة شعبية ومن أكبر أسباب هذا السخط والاضطراب الشعبي تجاه الإنجليز أيضاً هو أنهم كانوا ينهبون اقتصاد

البلاد ثروتها وينقلونها إلى بلادهم فكانت تتدهور بنيتها الاقتصادية تدهوراً ودفع هذا الوضع الفلاحين والصناع إلى وهاد الفقر حتى انتحر كثير من الإقطاعيين والصناع الذين يواجهون الأزمة المالية.

من عام 1600م إلى عام 1757م كانت شركة الهند الشرقية الإنجليزية كمنظمة تجارية تقوم بإيراد الأمتعة الثمينة ومنتوجاتها إلى البلاد وعوضاً لها كانت تشتري المنتوجات والتوابل من البلاد وتبيعها في البلدان الأجنبية وتكتسب منها أرباحاً كثيرة ومن الواضح أنها كانت تريد أن تفتح أسواقا جديدة في بريطانيا والبلدان الأجنبية الأخرى وهكذا كانت تشجع الصناع الهنود بزيادة وإيراداتهم وتضعيف تصدير منتوجاتهم ولكن الصناع البريطانيين كانوا يحسدون من البداية على تجاوب للأقمشة الهندية في بريطانيا.

وبعد حرب بلاسي عام 1757م تغيرت العلاقات التجارية للشركة مع الهند تغيراً أساسياً فالآن كانت الشركة تستطيع أن تستخدم سيادتها السياسية على بنغال من أجل الحصول على السيطرة الاحتكارية وعلى التجارة الهندية والمنتوجات الهندية، وزد على ذلك فإنها كانت تنفق الأموال التي تحصل على المكوس والعوائد من بنغال على تصدير المنتوجات الهندية، ثم وظفت الشركة حائكي بنغال على شروطها باستغلال سيادتها السياسية وأجبرتهم على أن يبيعوا منتوجاتهم بأسعار منخفضة وعلاوة على ذلك كان العمال الآن مجبرين، فكانت الشركة تجبرهم أن يعملوا للشركة على

الأجور القليلة وكانوا محظورين من أن يعملوا للتجار والصناع الهنود مطلقاً، وما كان للخصوم التجاريين الهنود أو الأجانب أن يعطوا صناع بنغال أسعاراً أفضل وكان موظفو الشركة يحتكرون على بيع الحرير الخام ويستلمون أسعاره من ناسجي بنغال كما كانوا يشاؤون، ومع ذلك كله كان من الواجب على الهند أن تؤدى مكوسا ثقيلة على السلع المستوردة إلى بريطانيا.

وفي عام 1769م أجبر الراسماليون البريطانيون الشركة قانونيا على أن تقوم بتصدير المنتوجات البريطانية التي قدرها ثلاث مأة وثمانون ألف جنيه استرلين كل سنة وإن أصيبت بخسارة مالية وفي عام 1793م أجبروها على أن تحمل على سفنها ثلاثة طن من منتوجاتهم إلى الهند وهي كانت اكثر مما كانت في عام 1794م من سبع مأة مرة وزد على ذلك فإنهم جعلوا يبحثون عن طرق جديدة لاستيراد منتوجاتهم إلى الهند.

وعلى صعيد آخر فإن الضباط الصغار كانوا ينهبون الإقطاعيين والرعية ويجمعون أموالا طائلة لأنفسهم وكانوا يؤذون الفلاح أو يدخلونه في السجن إذا قصر في تأدية عوائد الأرض أو إذا تأخر في دفع الربا، وبعد أن مل الشعب الفقر المتصاعد المستمر تأهب للانضمام إلى الثورة العامة بغية أن يفوز بحياة نبيلة وعيش كريم وعلاوة على ذلك ظل الإنجليز في بلادنا أجانب طالما بقوا وما كانوا كالشعوب فتحت الهند قبلهم إنهم لم يرتبطوا اجتماعيا حتى بالطبقة العليا للهند وكانوا يشعرون بالتفوق اجتماعياً

وفوق كل ذلك إن الإنجليز لم يأتوا إلى بلادنا ليستوطنوها أو ليتوطنوا فيها بل إنهم أتوا إليها كي ينهبوا أموالاً هائلة كما يشاؤون ويعودوا إلى وطنهم.

يقول السير سيد أحمد خان "أخذت حال الصنعة والحرفة للبلاد تتدهور بسبب المنتوجات التي أنتجتها الشركة حتى كان لا يكترث أحد بالصواغين وصانعي أعواد الكبريت للبلاد وأصبحت صنعة الحائكين عرضة للدمار"[8] وكان المسلمون والهندوس والعمال والفلاحون ورجال الجيش والإقطاعيون وأفراد العائلة الملكية بائسين بسبب الأزمة الاقتصادية قد أصبحت الظروف مؤاتية للثورة وفي نفس هذه الفترة صدر الأمر من قبل الحاكم البريطاني باستخدام الخرطوشات تملأ بالنزع مستمدا الأسنان وكانت هذه الخرطوشات تشرب بشحم البقرة والخنزير للدسم هذا مما أغضب رجال الجيش الهنود واعتقدوا أن الإنجليز هجموا على ديانتي الهندوس والمسلمين وجرحت مشاعرهم ومع جميع الأسباب المذكورة هناك سبب آخر من أهم الأسباب التي حثت المسلمين والهندوس أن الحكومة الإنجليزية اتخذت طرقاً اجبارية لتنصير الهنود فقد جرح القسوس قلوبهم بالخطابة والكتابة بتلويث عقائدهم ولم يضع الشركة أية فرصة لخفض أصواتهم ضد الظلم والجور الذي قام القسوس به لتنصير الهنود وبعد عام 1850م قد جاوزت الإضطرابات والنكبات كل الحدود فالناس في جميع أنحاء الهند يشعرون بأن لا يقدرون على حفاظ أديانهم وحضاراتهم إن كانت الحكومة الإنجليزية تتمتع بمزيد من الأيام في أرض الهند.

فقامت ثورة جامحة عام 1857م لإنقاذ البلاد من هذا الدمار والخراب ونشبت معارك دامية بين الجيش البريطاني والثوار واستمر القتال عدة شهور أبلى فيها الثوار والأهالي بلاءً حسنا وتزعمها المسلمون وبعض الهندوس.

حدثت الثورة في معسكر مدينة ميرث في العاشر من مايو عام 1857م عندما رفض رجال الجيش الهنود استخدام هذه الخرطوشات ولما علم الإنجليز هذا استشاطوا صاروا غضباً وحكموا على 85 جنديا من 95 جنديا بالعقوبة بالأعمال الشاقة إلى عشر سنوات وثار في اليوم التالي سائر رجال الجيش على الإنجليز وقتلوا الضباط الأوربين وخلصوا زملاءهم الذين حكم عليهم بالعقوبة بالأعمال الشاقة وفي اليوم التالي غادروا إلى دهلي.

وكان يتولى مملكة دهلي الملك أبو ظفر شاه في ذلك الحين (عام 1837م وفي عام 1857م) اجتاز عمره 82 سنة طلب منه رجال الجيش الثوار أن يقوم بقيادة هذه الثورة الشعبية فرفض الملك طلبهم ، لكن رجال الجيش ألحوا عليه أن يتولى الأمر وفي الثالث عشر من مايو قبض الثوار على خمسين من رجال الجيش الإنجليزي وفي السادس من مايو قتلوهم بالرصاصات وفي الخامس والعشرين من مايو أمد الإنجليز قواتهم بمساعدات عسكرية فنشب قتال عنيف بين الثوار والقوات الإنجليزية ودفعت الثوار إلى الوراء وكان هذا أول نجاح للجيش الإنجليزي وفي

الخامس والعشرين من يونيو أخبر الإنجليز أن الثوار قد جمعوا قوتهم من جديد ووصل هناك عدد كبير من الثوار من جالندهر ونصير آباد وأودهه فانتشرت الثورة في الهند انتشار النار في الهشيم فاصبحت ثورة شعبية عامة ساهم فيها المسلمون والهنادك سواء بسواء.

قد انتشرت نيران الثورة في أكثر مناطق "سهارن فور" و"مظفر نكر" وبجنور وغيرها من المديريات المجارة بدهلي وكذلك وجدت شعلتها في جميع أنحاء الهند، وشارك فيها المسلمون وخاصة العلماء والمشايخ الذين لعبوا دوراً هاماً في مواجهة الجيوش الإنجليزية في مناطقهم ومد الإقطاعيون أيدي المساعدة ضد القوة المستعمرة. والعلماء الذين قادوا الثورة من أشهرهم مولانا أحمد الله ومولانا لياقت علي وهما اللذان تزعما الحركة والحاج امداد الله ومولانا محمد قاسم النانوتوْي ومولانا رشيد أحمد الكنكوهي في الهجوم على العساكر الإنجليزية في منطقة "شاملي" و"تهانة بهون" وقبضوا عليها.[9]

لقد قاد الشيخ رحمت الله الكيرانوي المجاهدين في منطقة "كيرانة" ففي تلك الأيام الصعبة كان يضرب الطبل كي يجتمع المجاهدون للحصول على النظم والتربية في فنون الحرب ويعلن "ملك خدا كا حكم مولى رحمت الله كا(الملك لله والحكم رحمت الله)"[10] قبل كل الإعلانات فيما تتعلق بأمور الحرب ومع مرور الأيام ازداد عدد المجاهدين حتى صارت جبهة قوية للقتال في تلك المنطقة ضد الإنجليز وكان من المستحيل أن تهزمهم الجيوش

الإنجليزية لأن الإستعدادات الحربية كانت منظمة كاملة ولكن يا للأسف قد اصيبوا بخيانة بعض الخائنين فانهزم المجاهدون في معركة حاسمة وحاصر الجيش الإنجليزي المنطقة وجعلوا يبحثون عن الشيخ رحمت الله بكل شدة.

يكتب ابو الحسن علي الحسني الندوي في كتابه "المسلمون في الهند" عن أحوال الهنود بعد أن فشلت الثورة:

"ولما أخفقت هذه الثورة صب الإنجليز على اهل الهند جام غضبهم وانتقموا منهم انتقا شديداً وبطشوا بالهنديين شعباً وأمة بطشة جبار لا يعرف الرحمة ولا يعرف العدل ولا يعرف الإنسانية ولا يعرف الحدود وكانت مجزرة هائلة جددت ذكرى مذابح جنكيز وهولاكو وقد قتلوا ثلاثة من أبناء الملك الشبان المأسورين بعد ما أعطوهم الأمان والعهد والميثاق بهمجية وقساوة امتعض منها كثير من الانجليز وقد شنقوا ثلاثة وعشرين من أبناء الأسرة الملكية فيهم مرضى وزمنى وشيوخ عجز وأهانوا الملك وحاكموه محاكمة مهينة ذليلة وكانوا حريصين على قتله أشنع قتلة إلا أن ضابطاً منهم كان قد وعد أن يحافظ على حياته ليسلم نفسه إليه فحكموا عليه بالنفى المؤبد إلى "رنجون" حيث مات طريداً وشريداً مقتراً عليه في الرزق مضيقاً عليه.

ودخلت الجيوش الانجليزية في دهلي فكان تفسيرا لقوله تعالى "إن الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة" وقد أذن للجيوش

في نهب العاصمة ثلاثة أيام فطبقته تطبيقا فظيعا.[11]

وقد تعرض المسلمون لغضب الإنجليزي الذين يعدون المسلمين هم أصحاب الفكر والقيادة في الثورة وكثير من الإنجليز المسؤلين كانوا يعتقدون أنها ثورة إسلامية وأن المسلمين هم مصدر الثورة فنصبوا مشانق وأعواد على الطرق والشوارع العامة فكان حنقهم شديداً على علماء المسلمين واهل الحظر منهم ومن لـه شأن في المجتمع الهندي يعلقونهم على المشانق ويقتلونهم بعد تعذيب وإهانة ويبحثون عن كل من كانت لـه كلمة مسموعة أو نفوذ في المجتمع وكان من ضمنهم وفي مقدمتهم الشيخ رحمت الله الكيرانوي الذي انتصر على القسيسين في المناظرة الحاسمة في أكبر آباد ثم ساهم في الكفاح ضدهم.[12]

فقد اضطر الشيخ إلى الاختفاء مع بعض المجاهدين في قرية "بنجيت" ودخلت الجيوش الإنجليزية في "كيرانة" مفتشة بيتاً بيتاً ولما فشلت في العثور على الشيخ توجهت إلى قرية "بنجيت" فطلب عمدة القرية الشيخ أن يتزى بزي الفلاحين ويخرج للعمل في الحقول فامتثل الشيخ بنصيحته والجيش قد مر عليه فسألوه وزملاءه عنه ولم يعرفوه تماماً وسألوا أهل القرية فرفضوا ثم قاموا بالعثور عليه في القرية وبعد الفضل في جهودهم رفعوا أمر الشيخ إلى المحكمة بتهمة قيادته للثورة والخروج على القانون وقاموا بإعلان جائزة عليه مقدارها ألف روبية لمن يأتي بالشيخ حياً أو متياً.[13] وقام الإنجليز بإحصاء ممتلكات الشيخ الثابتة

والمنقولة لما فيها من القصور والمزارع وغيرها من الممتلكات وقاموا بإعلانها للبيع بالمزاد العلني فبيعت بألف وأربع مأة وعشرين روبية وقيمتها الحقيقية عشرات الألوف.[14]

هجرته إلى مكة المكرمة

ولما ضاقت الحياة وتضايقت نفسه في الهند عزم الشيخ على الرحلة إلى مكة المكرمة فخرج من وطنه ماراً بالقرى والفيافي إلى "سورت" ثم إلى "بومباي" ورأي فتك الإنجليز بالمسلمين وذبحهم للعلماء على قارعة الطريق فقد ركب كئيباً حزيناً زورقاً شراعياً من "مومباى" إلى الميناء اليمني (مخا) لأن السفينة التي تبحر من "مومباى" إلى "جدة" قد فاتته بالإضافة إلى أن ميناء "مومباى" يغص بالموظفين والجنود الإنجليز ولما وصل إلى "مخا" سافر براً إلى مكة المكرمة فوصل إليها – بعد سنتين من السفر المضنى بين البر والبحر عام 1859م.[15]

يكتب محمد سليم في وصوله إلى بيت الله ونشاطاته التي قام بها هناك

"قد وصل هذا المجاهد في الله متجشما كل ما لاقاه من آلام السفر الطويل ومتاعبه، إلى مركز الإسلام لكي يتمكن من خدمة الإسلام في ظل الكعبة المقدسة وتوجه اكثر اعضاء هذه الجماعة المجاهدة في سبيل الله إلى مكة المكرمة وكان الحاج إمداد الله قد وصل إليها قبل وصول الشيخ الكيرانوي بقليل، ولقي واحد مع الآخر في المطاف وكان السيد أحمد دحلان

رئيس علماء مكة في ذلك الزمان لـه حلقة درس في المسجد الحرام يقصدها أعيان المدينة وعامة الخلق فاستعرض الشيخ الكيرانوي الظروف واتصل بعلماء الحرم المكي الشريف وقد عرفه الشيخ أحمد دحلان في مجلس علمي عام فسأله عن حاله وما صادفه من الظروف فأعرب عنه الشيخ بايجاز ثم دعاه الشيخ دحلان غد إلى منـزله، فذكر لـه الكيرانوي كل ما وبذل من المحاولات الدينية الجميلة ونجاح المسلمين البارز في مقاومة النصارى وما واجه من والظروف القاسية والاوضاع القاسية بعد ثورة 1957م بتفاصيلها الضرورية فأبدى الشيخ دحلان عن سروره وأذن لـه أن يدرس رسميا في المسجد الحرام"[16]

يذكر عبد الله بن إبراهيم الأنصاري في مقدمة "اظهار الحق" في وصول الشيخ إلى مكة المكرمة:

"وفي العصر الذي وصل فيه الشيخ الكيرانوي إلى مكة المكرمة كان الشيخ أحمد زيني دحلان شيخاً لعلماء مكة وإماماً وخطيباً للمسجد الحرام والشريف عبد الله بن عون واليا على مكة وأصبح الشيخ يشترك في حلقة درس الشيخ أحمد دحلان بعد صلاة الصبح بالمسجد الحرام وسأله يوماً عن مسألة فقهية وبعد مناقشة بينهما تنبه السيد أحمد دحلان ان السائل ليس بطالب بل هو عالم جليل، فأخذ السيد دحلان بيد الشيخ رحمت الله وطلب منه أن يكشف عن شخصيته ويفصح عن نفسه – فأخبره الشيخ موجزاً عن أحواله والأهوال التي مرت عليه – فتأثر السيد أحمد دحلان بما سمع

وفاضت عيناه بالدمع ودعاه إلى بيته وأكرمه وأقام لـه مائدة دعى اليها كبار علماء مكة والمسجد الحرام – وقد شرح الشيخ رحمت الله أحواله بتفصيل وبيان – وما جرى بينه وبين القسيس فندر فأظهر السيد احمد دحلان اعتناء بالغاً وحفاوة وتكريماً ومنحه إجازة التدريس في المسجد ا لحرام وسجل اسمه في السجل الرسمي لعلماء المسجد الحرام"[17]

رحلته الأولى إلى القسطنطنية

وصادف أن القسس "فندر" بعد ما قضى مدة في الأقطار الأوربية من ألمانيا وسويسرا وانجلترا أرسلته الإرسالية الكنسية الكائنة في لندن إلى قسطنطنية الخلافة الإسلامية وقلب العالم الإسلامي ليقوم بالدعوة والتبشير في وقد قابل السلطان عبد العزيز وحكى لـه قصة المناظرة في الهند وذكر أن المسيحية قد انتصرت على الإسلام فيها فاضطرب به السلطان عبد العزيز خليفة المسلمين وكتب إلى شريف مكة في أمره أمره أن يتصل بأهل الخبرة من حجاج الهند ويحصل على المعلومات الصحيحة عن هذه المناظرة وثورة عام 1857م ويخبره بحقيقة الأمر وكان الشريف قد استطلع على حقيقة الأمر عن شيخ العلماء السيد أحمد دحلان فأجابه أن العالم الهندي المناظر الذي يستفسر عنه الخليفة موجود في مكة المكرمة ويدرس بالمسجد الحرام – فقابله الوالي الشريف عبد الله بن عون وعرف منه حقيقة الحال وكتب إلى السلطان فأمره بارسال الشيخ محمد رحمت الله إلى تركيا سريعاً كضيف خاص للخليفة عام 1864م[18]

وعند وصوله إلى الآستانة في رجب عام 1280هـ 1864م استقبله السلطان عبد العزيز خان في موكب رسمى وأنزله بالقصر الهمايوني وأقام لـه حفلة كبيرة حضرها الوزراء والعلماء وكبار رجال الدولة ثم طلب من الشيخ أن يروي لهم عن المناظرة وانتصار الإسلام فيها والثورة الشعبية، ودور المسلمين فيها وحينئذ فرض السلطان قيوداً على نشاطات المبشرين والإرساليين في الدولة العثمانية وسن في ذلك قوانين صارمة.

وكان السلطان يلاقي الشيخ بعد صلاة العشاء يتبادلان الحديث عن الأمور المختلفة وكان يحضر جلسات المجلس الأعلى لشؤون الدولة مع رئيس الوزراء خير الدين باشا التونسي وشيخ الإسلام احمد أسعد المدني وكبار رجال الدولة وقد عين لـه السلطان راتباً شهرياً قدره خمس مأة مجيدي وعينه عضوا المجلس الوالي بمكة وأنعم عليه بالخلعة السلطانية وبالوسام المجيدي من الدرجة الثانية، تقديراً لجهوده في مقاومة التنصير والإستعمار ثم استأذن السلطان للعودة إلى مكة المكرمة ليستمر تدرسيه في الحرم الشريف فأذن لـه وودعه بنفسه[19]

وقد اقترح السلطان عبد العزيز خير الدين باشا على الشيخ بعد ما سمعا قصة المناظرة وعرفا طول باعه وواسعه اطلاعه في هذا الموضوع وقدرة عارضته على نقد المسيحية ومصادرها أن يؤلف كتابا بالعربية يتناول فيه القضايا الخمس التي دار عليها الحديث في مناظرة "آكره" بالتحقيق والتفصيل في قبل الشيخ هذا الاقتراح وبدأ في تاليف كتاب "إظهار

الحق" أثناء إقامته في الآستانة في شهر رجب 1280هـ وأكمله في ذي الحجة في نفس السنة يعنى في ستة أشهر، وقدمه إلى السلطان ولكنه ذكر في المقدمة أن هذا التأليف كان تحقيقا لرغبة شيخ العلماء السيد أحمد زيني دحلان فسأله خير الدين باشا عن ذلك وقال: إنه كان امتثالا لأمر أمير المؤمنين فكان اللائق أن ينوء بذلك إكراماً لمركز الخلافة وإنصافاً للواقع فاعتذر الشيخ وقال: إن هذا العمل كان واجباً أن يكون خالصا لوجه الله لا يشوبه غرض دنيوي أو تزلف إلى أمير أو سلطان وقد سبق أن شيخ العلماء رغب في ذلك وأمرني أن أقيد خبر هذه المناظرة وكنت قد بدأت بجمع بعض المواد في مكة وله فضل في تقديمي إلى شريف مكة وهو الذي كان السبب في وصولي إلى مقر الخلافة لذلك أثرته بالذكر والاعتراف بفضله وهكذا ظهر هذا الكتاب إلى حيز الوجود[20] سيأتي البحث عن هذا الكتاب بالتفصيل في الباب الثالث.

تأسيس المدرسة الصولتية

بعد أن أتم تأليف إظهار الحق في تركيا عاد الشيخ إلى مكة المكرمة واشتغل بالتدريس في الحرم الشريف وبداره وإن أرض الحرم لم تكن تخلو من العلماء الكبار وأصحاب الفتيا والمتخصصين في الفنون في عصر الشيخ وكانت حلقات التدريس تترامى هناك ولكن لم يكن التعليم في أرض الحرم مرتبا منظما وأن المدارس لم تكن قررت مستوى دراسياً خاصاً ولا نظاماً إداريا يجمع الشمل ويهيئ مرافقات الإقامة والطعام للطلبة الوافدين

من الخارج لارتواء ظمأهم العلمي وتعتني بأبناء مكة والمهاجرين من حيث التعليم والتربية.

فكان الشيخ أول من شعر بحاجة أهل الحرم وطلبة العلوم الإسلامية في مثل تلك الأوضاع وفكر فيها فظهرت في ذهنه فكرة حكيمة وهي أن يؤسس أول مدرسة على نفقته الخاصة فأسسها بمحلة الشامية بدار أحد أمراء الهند المهاجرين المعروفة بدار السقيفة عند مطلع جبل هندي بالشامية عرفت بالمدرسة الهندية أو مدرسة الشيخ رحمت الله[21] وأسس معهد للصناعة لكي يعرف الطلبة الصناعة والأعمال اليدوية بالإضافة إلى اهتمام بالغ لقضايا تعليم أولاد المهاجرين والعرب وتربيتهم الدينية حتى لا يكون أولاد الهاجرين وأهل الحجاز عئبا على الناس ولا يكونوا فريسة للفقر والإفلاس بعد إكمال المراحل الدراسية.

ونظرا إلى ضيق المكان لم يستطع الشيخ تنظيم المدرسة كما كان يتمناها ويريدها حتى قيض الله احدى اميرات الهند اسمها السيدة صولت النساء من "كولكتا" التي قدمت لأداء فريضة الحج عام 1872 أن تيهأ قطعة أرض فانتقلت المدرسة إلى حي الخندريسة بمحلة الباب عام 1874م وسميت باسم تلك المرأة الكريمة المدرسة الصولتية، وأخذ المهاجرون الهنود اهتمام شؤون المدرسة تحولت هذه المدرسة عبر الأيام إلى أكبر مؤسسة علمية في الحجاز حيث أنها تمتاز بمباني مختلفة وصفوف الدروس والمكتبة العامة وما إلى ذلك مما يحتاج إليه الطلاب في المعاهد العلمية.

كانت المدرسة الصولتية تجمع بين جميع العلوم والفنون التي كانت وقت ذاك مدروسة مقررة في كل مدرسة دينية وكان الدرس النظامي رائجا فيه أساسياً بشيء من الإصلاح والتغيير.

فكانت المدرسة تقتصر على نشر العلوم وبثها لمحو الأمية المنتشرة والقضاء على الجهل بكل ما أوتيت من قوة وتبذل فيه قصارى جهودها من نقل أبناء المسلمين من دياجير الجهل الحالكة إلى النور المبين بتزويدهم بالمعلومات النافعة المختلفة لينشأوا رجالا عاملين ومصلحين ولذلك كانت المدرسة تعتني ببث العلوم الدينية من توحيد وتفسير وحديث وفقه وكذلك تعنى عناية بالعلوم الاجتماعية الرياضية والعلوم الفنون الأخرى وكذلك قد اهتمت المدرسة من أيام الشيخ محمد سليم بخدمة الحجاج المتمين إلى شبه القارة الهندية هكذا نالت المدرسة قبولاً وشهرة في العالم تخدم الحجاج الكرام حاليا أيضاً.

رحلته الثانية إلى القسطنطنية

وعندما تم بناء المدرسة الصولتية وعمت سمعتها بين عامة الناس وازداد إقبال الراغبين في العلوم إليها قد أحس قنصل الإنجليز في "جدة" أنها غير صالحة للإنجليز ومصالحهم في العالم العربي وظن القنصل أن الشيخ رحمت الله الكيرانوي يقوم بالمؤمرات ضدهم ويحث الناس على الثورة لأنه كان يعرف تمام المعرفة دور الشيخ الهام في ثورة عام 1857م في الهند وكانت قضيته في المحكمة الإنجليزية بتهمة قيادته للثورة

والخروج على القانون وأعلنوا في الهند جائزة مقدارها ألف روبية لمن يأتي بالشيخ حياً أو ميتاً فقد أحدث القنصل الشكوك والشبهات ضده والمدرسة ورفعها إلى والي الحجاز عثمان نوري باشا الذي كان رجلا عسكريا قاسياً فراودته الشكوك في المدرسة ومؤسسها بسبب وشايات الإنجليز وإقناعهم إياه بأنها حركة تعمل لهدم الخلافة العثمانية ولما سمع السلطان عبد الحميد الثاني التوتر الشديد بين الشيخ والوالي أرسل بطلب حضور الشيخ إلى دار الخلافة وظن عثمان نوري أن الشيخ سيواجه جزاء قاسياً.[22]

قد وصل الشيخ إلى دار الخلافة "استنبول" بعد سفر طويل يحتوى على شهر ونصف فإنه نال التكريم وأقام مع كبار اعضاء الدولة وأنعم عليه السلطان عبد الحميد بالخلعة الملكية الذهبية وبالوسام المجيدي قبل أن يقابله كما منحه شيخ الإسلام أحمد أسعد المعرياني "سند رؤوس" -وهي وثيقة الشرف والامتياز للعلماء والمجاهدين- ولما قابله السلطان اعتذر له في تأخر اللقاء ومنحه لقب "فايا حرمين شريفين" — أي ركن الحرمين الشريفين— وألبسه عباءة هذا اللقب كما منحه سيفا مذهباً منقشاً عليه العبارات التمجيدية منها "السلاح زينة يجاهد في سبيل الله" وقدم له هدايا كثيرة وقرر له راتباً شهرياً مقداره خمسة آلاف قرش.

أقام الشيخ في دار الخلافة مدة التقى خلالها بالسلطان عدة مرات تبادلا الرأي في الأمور الدينية والسياسية الهامة وقد اقترح على السلطان أن يمنع

دخول الإنجليز إلى عدن خشية تغلغلهم في البلاد الإسلامية ولما عزم الشيخ العودة إلى مكة أراد السلطان أن يقرر هبة مالية سنوية للمدرسة الصوليته إعانة لأداء واجباتها لكن الشيخ اعتذر بكفاية اعانات المحسنين لنفقاتها وبعد أن مضت عدة شهور في تركيا فودعه السلطان وداعاً رسمياً واستقبله أهل مكة وعلى رأسهم أميرها عثمان نوري الذي اعتذر للشيخ عما بدر منه.

رحلته الثالثة إلى القسطنطنية

وبعد عودته من تركيا قضى سنتين في ترقية المدرسة الصولتية وبذل جهوده في توسيعها وفي اثناء هذا المدة دامت المراسلات بينه وبين كبار الحكام وبين السلطان عبد الحميد مباشراً ولكن الشيخ أصيب بضعف في بصره حتى عجز عن القرأة والكتابة ولما علم السلطان بكفية الشيخ واحوال بصره طلبه بالفور للعلاج ففي عام 1887م استجاب الشيخ لرغبة السلطان رغم المرض وصعوبة السفر ورافقه في هذه الرحلة تلميذه الأستاذ "عبد الله جي" الذي قيد أحوال الرحلة مشيراً إلى التكريم الذي لقياه.

ودعا السلطان خمسة أطباء مع طبيبه الخاص لفحص عيني الشيخ فقرروا إجراء عملية جراحية بعد شهرين ريثما يخف نزول الماء في عينيه ولكن الشيخ اعتذر عن إجراء العملية لصعوبتها في ذلك الزمان وكذلك اعتذر عن طلب السلطان لإقامته بجوار السلطان لأنه يريد أن يقضى أيامه الأخيرة في الحرم الشريف فودعه السلطان أحسن وداع ووصل الشيخ إلى مكة في ذي القعدة سنة 1305هـ وبعد أن مضت عدة شهور من وصوله إلى

جوار بيت الله الشريف عمل لـه أحد أطباء مكة العملية الجراحية ولم تنجح.[23]

وفاته

بقي الشيخ رحمت الله الكيرانوي بعد وصوله إلى مكة المكرمة ثلاث سنوات وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال من التأليف والجهاد بالسيف والقلم والتدريس في الهند والحرم المكي الشريف وبعد تأسيس أعظم مدرسة في ربوع الحجاز حيث تخرج عدد كبير من أصحاب العلم والمعرفة لبي هذا المجاهد نداء ربه يوم الجمعة من شهر رمضان المعظم من سنة 1308هـ الموافق 1891/5/1م وكان عمره خمسا وسبعين سنة ودفن في زمرة الصديقيين والشهداء بالقرب من أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها بمقربة المعلاة بمكة المكرمة رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة محله ومثواه آمين.

الهوامش

[1] مولانا اسير ادروى: مجاهد اسلام مولانا رحمت الله كيرانوي، ص36
[2] الدكتور محمد عبد القادر خليل: المناظرة الكبرى، ص31 و 32
[3] مقدمة اظهار الحق: ا لجزء الثاني، ص5، إخراج وتحقيق عمر الدسوقي
[4] مولانا عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، ج7، ص83
[5] اسير ادروي: مجاهد اسلام مولانا رحمت الله كيرانوي، ص42، 43، 44
[6] مولانا محمد سليم: ايك مجاهد معمار، ص18
[7] ببن جندرا: جديد هندوستان
[8] سر سيد أحمد خان: اسباب بغاوت هند، ص60
[9] مولانا اسير ادروي: مجاهد اسلام مولانا رحمت الله كيرانوي، ص286
[10] مولانا محمد سليم: ايك مجاهد معمار، ص28
[11] ابو الحسن علي الحسني الندوي: المسلمون في الهند، ص166 و 167
[12] مجلة البعث الإسلامي جمادى الثانية 1399هـ، ص57 و 58
[13] امداد صابري: آثار رحمت، ص247، 248، 250
[14] مولانا محمد سليم: ايك مجاهد معمار، ص29 و 30
[15] امداد صابري: آثار رحمت، ص251
[16] مولانا محمد سليم: ايك مجاهد معمار، ص30 و 31
[17] عبد الله بن ابراهيم الانصاري: مقدمة اظهار الحق الجزء الثاني، ص11 و 12
[18] جستس مولانا محمد تقي عثماني: بائبت سى قرآن تك، ج1، ص201 و 202
[19] الدكتور محمد عبد القادر خليل: المناظرة الكبرى، ص45
[20] مجلة البعث الإسلامي، جمادى الثانية، 1399هـ، ص59، 60
[21] عبد اله بن ابراهيم الانصاري مقدمة اظهار الحق، ص16
[22] مولانا اسير ادروي: مجاهد اسلام مولانا رحمت الله كيرانوي، ص 318، 319
[23] امداد صابري: آثار رحمت، ص304، 305، 307

البـــــــاب الثالث

أعمال الشيخ العلمية
دراسة تحليلية

وإذا بحثنا عن الشيخ رحمت الله من حيث أعماله العلمية فوجدناه وحيداً وفريداً في مجال الرد على المسيحية فإنه بذل كل مجهوداته فيها وسلك مسلك المجاهدين قلماً وسيفا ومناظر مع القسيسين وما خاف على لومة لائم وفي الدفاع عن الإسلام والمسلمين وواجه الدعوة التبشيرية وجها لوجه ووقف في إعادة الثقة إلى نفوس المسلمين ورفع معنوياتهم واعتزازهم بفضل دينهم على الأديان كلها.

جهود المنصرين في نشر المسيحية

منذ أن وطئت أقدام البرتغاليين شواطئ الهند الغربية عام 1498م فأسرعوا إلى الكشف عن حقيقة نياتهم التنصيرية وأنشأوا الكنائس في "جوا" و"كوتشين" و"ملقا" وسمح البرتغاليون الدعاة الكاثوليك بالتبشير المسيحي فقد بذل الدعاة المسيحيين جهودهم الكبرى في إثبات قدومهم في الهند لكي ينشروا عقائدهم المسيحية، حتى بدأوا يدعون الهنود إلى الدين المسيحي، ولكنهم اتخذوا إجراءات قاسية ضد المسلمين.

وأما المنصرون الإنجليز فقد أنشأ أول هيئة تنصرية بروتسناتية عام 1792م و أسسوا في عام 1795م جمعية لندن التبشيرية كما أسست جمعية التبشير للكنيسة الإنجليزية عام 1799م وبدأت تأخذ الطابع العلمي الرسمي. اتخذت بعثة برئاسة وليم كاري "مقرا لها في "سيرامبور" وقامت بالتنصير العلني في كولكتا بمساعدة "مارشمان" واضع أسس البعثات التنصيرية

البروتستانية في الشرق كله[1] وبسرعة فائقة انتشرت البعثات المختلفة عقب بعثة "كارى" إلى أنحاء الهند.

المنصر الأسباني "ريمون لل" قام بتقديم خطة وهي أن تتخذ الكنيسة العلم والمدارس وسيلة للتنصير فقد أقيمت المدارس التنصرية في الهند فأصبح عددها أكثر من مدارس الإمبراطورية العثمانية وكان لجمعية التنصير الكنيسية في الهند ألف مدرسة يدرس فيها خمس وستون ألف طالب، تتبعها معاهد عالية كثيرة في ولايات مختلفة من امثال "أودة" و"اكرا" و"اله آباد" ولأجل نجاح خطتهم التنصيرية على مدى واسع لم يكتفوا بإنشاء رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية بل أخذوا ينشئون الكليات العالية مثل كلية اسكندروف وكلية هوجلي وكلية بشب بكولكتا ففي عام 1757م فرض الإنجليز تدريس الإنجيل في جميع المدارس والكليات التنصرية والوطنية فتلك المعاهد كانت تلعب دورا هاما في نشر المسيحية وتعاليمها التي تؤثر على أذهان الطلاب الناشئين وقد ذكر مولانا فضل حق خير آبادي هذه الخطة فقال: "فنبوا لتعليم الأطفال والأغفال وتلقينهم كتب دينهم في القرى والبلاد مدارس وصيروا معالم العلوم والمعارف والمدارس التي بنيت في العهود السوالف دوارس."[2]

وكذلك ركز المنصرون أفكارهم على تأليف الكتب وإنشاء المكتبات وإصدار الصحف لأنهم علموا لها أثر بالغ في نفوس القراء الذين يقرؤنها فقاموا بإهتمام كبير في وضع الكتب لكل طبقة تتفق مع وضعها وعقليتها

ومستواها العلمي لكي تصل هذه الكتب إلى جميع طبقات المجتمع الهندي وقاموا بطباعتها في مختلف لغات الهند أهمها اللغات الثلاث: العربية والأردية والفارسية ثم وزعوا آلافاً من نسخها بين الناس والموظفين الحكوميين داعيين إلى اعتناق عقيدة التثليث، والعقائد النصرانية.

ومن أهم مؤلفات المنصرين في الهند "تصديق الكتاب" للقسيس تي،جي إسكات و"البراهين الإلهية" للقسيس يونس و"أمهات المؤمنين" وغيرها وكان من جرأ في الطعن على الإسلام والقرآن وهو الدكتور فندر (Dr. C.G. Pfander) الذي ألف كتب: "ميزان الحق" ومفتاح الأسرار" و"حل الاشكال" و"إظهار الدين النصراني" و"طريق الحياة"

وقد ألف المتنصرون الهنود مؤلفات من أمثال عماد الدين الذي ألف "التعليقات على التاريخ المحمدي" و"هداية المسلمين" في أربعة اجزاء – و"المكاشفات" و"نغمة طنبوري" و"آثار القيامة و"من أنا" و"التعليم المحمدي" كما ألف راما جندر كتابي "المسيح الدجال" و"تحريف القرآن" وألف صفدر علي كتابه "نياز نامه" وألف رجب علي "كتاب آثنية اسلام وكذلك "كتاب إبطال الدين المحمدي" لمدراس تريكت سوسايتي و"كتاب تفتيش الإسلام لراجرس و"كتاب تحفة الأعم" لمحبوب مسيح.

نشاطات الدكتور فندر وكتابه ميزان الحق

كان الدكتور فندر مستشرقا أمريكيا كاثوليكيا وانتقل إلى البروتستانية

واستوطن انجلترا لاسترضاء خاطر زوجته البروتستانية فأرسلته كنيسة إنجلترا رئيساً للمنصرين في الهند حيث اظهر نشاطاً كبيراً وتزعم فندر الحملات التنصيرية في أرض الهند وكان يلقى المواعظ والخطب في الاجتماعات العامة ويهاجم على العقائد غير النصرانية ويدعو الهنود خاصة المسلمين إلى الإيمان بالمسيح واعتناق عقيدة التثليث حتى بلغت جرأته إلى أن اتخذه من درج المسجد الجامع الكبير بدهلي قرب القلعة الحمراء منصة لإلقاء خطبه بين صلاة العصر والمغرب ويتحدى علماء الهند تحديا سافراً للمجادلات الدينية معهم وكان يوجه المنصرين إلى مختلف المديريات الهندية ويدربهم على إلقا الخطب والمحاضرات وساعده المنتصرون الهنود في عمليته التنصيرية.

وقد ألف الدكتور فندر عدة مؤلفات في الدفاع عن العقائد النصرانية وتشويه عقائد الإسلام من امثال "مفتاح الأسراء" و"إظهار الدين النصراني" و"طريق الحياة" و"حل الإشكال" و"ميزان الحق" هذا هو الكتاب الذي كان يعد إلهامياً بين المسيحيين وقد تلقى المنصرون هذا الكتاب بالقبول والتقدير لإنه أحاط بجميع الشبهات والافتراعات وكلما يمكن أن يعترض به المنصرون والمستشرقون على الإسلام يستمدون به، وكذلك يشتمل الكتاب على جميع طرق الرد والدفاع عن العقائد النصرانية ويعد كتابا جامعاً في موضوعه، فميزان الحق هو عمدتهم الذي يعتمدون عليه في مطاعنهم وزعم فندر أن علماء المسلمين عاجزون، عن الرد على ما فيه

من حقائق وما زال يتحداهم أن يردوا إن استطاعوا.[3]

فقام الرجل المجاهد الشيخ رحمت الله وشمر عن ساق الجد والاجتهاد وخاض هذه المعركة الحاسمة التي لا بد أن يخوضها الشعب المسلم الهندي الذي واجه الدعوة المسيحية وجها لوجه قبل أن يواجهها شعب آخر في قطر إسلامي أو عربي وقدر الله أن يخرج هذا الشعب على يده من هذه المعركة الجدلية الكلامية والعلمية والاستدلالية فاتحا مظفراً مرفوع الرأس شامخاً بأنفه ويتراجع هذا السيل على أعقابه يضعف مده وطغيانه.

درس الشيخ المصادر النصرانية ومراجعها دراسة عميقة دقيقة وخاض نقب فهيا أصبح بلا منازع أستاذا في علم مقارنة الأديان ودحض العقائد الباطلة والدفاع عن عقيدة الإسلام في وقت كان فيه المسلمون في غاية الذل وذهاب العز فقد جرأ أن يؤلف كتبا في الرد على النصرانية والمنصرين ويفيدنا التاريخ أن له قصب السبق في هذا المجال.

إزالة الأوهام

قد بدأ الشيخ جهوده في الرد على النصرانية والمنصرين بتأليف "إزالة الأوهام" وبذل في تأليفه جهودا جبارة حتى أصباته الأمراض الشديدة فلم يقدر على المشى والقيام حتى كان يصلى نائماً وفي اجتماع اقربائه وأصدقائه ذات يوم بعد الفراغ من صلاة الفجر إنه بكي ثم خاطبهم: ما أجد أية علامة للصحة ولكن عندي أمل في ا لشفاء وسبب بكائي أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق رضي الله عنه في المنام

وقال لى الصديق: أيها الشاب يبشرك النبي الكريم بالشفاء فإن مرضك بسبب الجهد الذي بذلته كثيراً في تأليف كتاب وفعلا شفاه الله وأعانه على إتمامه.[4]

لقد رد الشيخ في "إزالة الأوهام" على ميزان الحق الذي أحدث ضجة كبيرة في أوساط المسلمين وألف هذا الكتاب باللغة الفارسية التي كانت لغة علمية رسمية في الهند وقد طبع تحت رعاية الاستاذ قوام الدين بمطبعة سيد المطابع بحي بيغم في دهلي عام 1853م يشتمل على 546 صحفة ونقله الشيخ نور محمد إلى اللغة الأردية وسماه "دافع الأسقام"

إزالة الشكوك

قد ارتد في مدينة "كراتشي" بعض المسلمين فكتب القسيسون تسعة وعشرين سؤالا على لسان أحد المرتدين واعترضوا بها على دين الإسلام كما أشار الشيخ إليها في مقدمة الكتاب "وكان السبب بتأليفه هو أن بعض القسيسين وضعوا أسئلة للمسلمين وأرسلوها إلى ولي العهد مرزا فخر الدين بهادر فأرسلها إليّ أن أجيب عنها فأجبت امتثالاً لأمره.[5]

فألف الشيخ هذا الكتاب عام 1854م مجلدتين ضخيمتين باسم إزالة الشكوك يشتمل على 116 صفحة تناول الأدلة القاطعة لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم النبيين ثم أثبت فيه وقوع التحريف في كتب العهدين قد ألفه الشيخ باللغة الأردية وطبع الجزء الأول تحت رعاية تلميذه الأستاذ عبد الوهاب الويلوري – مؤسس جامعة الباقيات الصالحات

بمدراس – إنه أنفق نفقته الخاصة في طباعة هذا الكتاب كما طبع تلميذه أبو الفصل ضياء الدين مدير الجامعة المذكورة الجزء الثاني ثم قام تلميذه عبد الوهاب المذكور بمراجعة الجزئين معا وتصحيحها وتم طبع الكتاب كاملا في عام 1871م.

الإعجاز العيسوي

قد كتب الشيخ هذا الكتاب أنثاء قيامه في مدينة "اكرا" عام 1854م باللغة الفارسية أثبت فيه الشيخ بالأدلة القوية الواضحة نسخ الأناجيل والتحريف فيها، قامت المطبعة الرضوية بطبع هذا الكتاب عام 1855م بدهلي ونقل إلى اللغة الأردية مع مراجعة مولانا محمد تقي العثماني وتعليقه وطبع في باكستان عام 1988م.

أحسن الأحاديث في إبطال الثتليث

لقد تعرض فيه لإبطال عقيدة التثليث بدلائل عقلية ونقلية تم تأليفه عام 1854م ويشتمل على سبعين صفحة فأصل الكتاب بالأردية وطبع بالمطبعة الرضوية بدهلي 1875م.

البحث الشريف في إثبات النسخ والتحريف

ألفه الشيخ باللغة العربية عام 1884م وطبعه بمطبعة فخر المطابع بدهلي وفيه تحقيق تام لمسألتي النسخ والتحريف وهذا الكتاب في ست وخمسين صفحة.

البروق اللامعة

واستدل فيه الشيخ بأدلة من الكتب المقدسة أن اسم محمد صلى الله عليه وسلم قد جاء في تلك الكتب وفيها أنه نبي الله وخاتم الأنبياء ألفه بالعربية ولكن لم يطبع هذه الكتاب بعد.[6]

معدل اعوجاج الميزان

قد كتب الشيخ "معدل اعوجاج الميزان" للرد على ميزان الحق لتتضح أخطاء القسيس فندر فيه، فأظهر الشيخ كذب فندر ومكره فيه ومن الأسف لم يطبع وما زال مخطوطاً.[7]

تقليب المطاعن

ألف الشيخ تقليب المطاعن بالعربية ولم يطبع هذا الكتاب بعد لقد ألفه للرد على كتاب قسيس أوربى لا سمند كا رواور إنه كتب هذا الكتاب باسم "تحقيق دين حق" طبع مرتين عام 1842م وعام 1846م.[8]

معيار التحقيق

ألف الشيخ معيار التحقيق ردا على كتاب تحقيق الإيمان للقسيس الهندي صفدر على ولم يطبع هذا الكتاب بعد.[9]

وهناك مصنفات أخرى للشيخ ومنها: "التنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر"، ورسالة في الحشر، و"رسالة في ترك رفع اليدين في الصلاة". وكذلك نقل الشيخ "التحفة الاثنا عشرية في الرد على الروافض"

لمولانا شاه عبد العزيز إلى اللغة الأردية، كما نقل "آداب المريدين" للشيخ ضياء الدين السهروردي إلى الأردية.

لقد كتب الشيخ معظم الكتب المذكورة قبل المناظرة فنترك هناك ذكر اظهار الحق الذي كتبه بعد المناظرة لأنه كان من نتائجها.

أكبر مساعد للشيخ

قبل أن نخوض حديث المناظرة يجب علينا أن نتحث شيئا حول مسلم غيور ورجل شجاع ساعد الشيخ مساعدة كبيرة في الرد على النصرانية والمنصرين وهو الدكتور وزير خان الذي ولد في ولاية "بهار" وبعد أن أتم دراسته في الهند إنه سافر إلى لندن عام 1832م ودرس الطب الجديد وقد نال فيها شهادة عالية وأتقن اللغة الإنجليزية ودرس اللغة اليونانية وعنى بدراسة المسيحية من مصادرها الأصلية واقتناء كتبها واستصحب هذه المكتبة الثمينة إلى الهند وأصبح مساعداً كبيراً الشيخ الأيمن في هذا الجهاد العلمي الذي كان جهاد الساعة وواجب الوقت وقد جاء الدكتور إلى مدينة دهلي في أثناء ثورة 1857م واستوطن مدينة "اكرا" وساهم الدكتور في الثورة ثم هاجر على أثرها إلى مكة المكرمة حيث لحق بالشيخ رحمت الله ومات هناك ودفن في جنة البقيع.[10]

المباحثة في بيت القسيس فرنج

يذكر امداد صابري في كتابه "آثار رحمت" أحوال هذه المباحثة نقلا

عن هامش المجلد الثاني لكتاب الشيخ "إزالة الشكوك" كان الشيخ مقيماً في دهلي لطباعة كتابه "إزالة الأوهام" حيث لقي مع الدكتور محمد وزير خان ووصل الشيخ معه إلى "اكرا" وكانت "اكرا" أكبر معاقل المنصرين في الهند هناك اجتمع العلماء والزعماء بالشيخ وشرحوا له الأوضاع التنصيرية في المدينة فقد زار الشيخ بمرافقة الدكتور خان القسيس فرنج في بيته وكان عنده القسيس "كئ" موجوداً فدارت المباحثة هناك بدون ترتيب سابق.

حدثت المباحثة كانون الثاني عام 1854م فيما طلب القسيس "كئ" من الشيخ إثبات تحريف التوراة والإنجيل والدليل على ذلك وادعى القسيس على أن تحريف التوراة لا يمكن لأن نسخة التوراة التي كتبها موسى عليه السلام بخط يده كانت محفوظة إلى عهد ينوخذ ناصر.[11] ملك بابل في التابوت[12] وكان التابوت في هيكل سليمان[13] بأورشليم وكان الملك يجلس على كرسى المملكة يكتب لنفسه نسخة من التوراة ويجعلها دستور حياته وكذلك دارت أثناء المحادثات والمجادلات في عدة قضايا الدينية بين الشيخ والدكتور خان وبين القسيسين فرنج وكئ ولكن الشيخ رحمت الله أسكت القسيسين بالأدلة القاطعة والبراهين الواضحة والحجج البالغة فانتصر الحق على الباطل[14] وتبين من خلالها قوة حجة الشيخ وتمكنه واطلاعه وعجز المنصرين في الإجابة فكانت مشجعة للشيخ لأن يطلب المناظرة العلنية في مجلس عام.

المناظرة الحاسمة

ولما اشتدت الحملات التنصيرية ورأي الشيخ كثيراً من شباب المسلمين كانوا حيارى من أمر الإسلام خاصة في مدينة "اكرا" التي كانت مقراً للمنصرين وزعيمهم الدكتور فندر، فقد أحس الشيخ الخطر التنصيري في الهند وعزم على انعقاد مناظرة علنية لمواجهة الخطر التنصيري وإظهار حقائق الإسلام ودحض الشبهات وإفشاء التحريف في الكتب السابقة فتلقى الشيخ مولوي أمير الله كان صديقا لفندر وله كليهما وذهب به إلى بيت فندر ليحدد على أمور المناظرة ترتيبها ولكن لم يجده في بيته ثم بدأت سلسلة الرسائل بينهما قد ذكر الدكتور محمد عبد القادر خليل في كتابه "المناظرة الكبرى" تسع رسائل سأذكر بعضها هناك لكي تتضح جهود الشيخ في سبيل الدين والدفاع عن الإسلام في المناظرة.

المكتوب الأول من الشيخ

إلى القسيس فندر 1854/3/23م

إني وصلت إلى البلد "اكرا" لأمر ما، وحصل لي الفراغ من الأمر (تأليف كتابه الإعجاز العيسوي) الذي كنت مشتغلا فيه وأريد أن ارجع إلى دهلي وارتسم في قلبي إلى الآن بفضل الله بالأدلة القطعية أن الكتب المقدسة منسوخة ومحرفة وأن الدين الأحمدي حق ارتساماً لا يخطر ببالي خلافة على الوهم الضعيف أيضاً وطالعت كثيرة في كتبكم وكتبت جوابها أيضاً ولكم توجه تام في رد الملة الإسلامية وقال الفاضل أمير الله إنكم كما تحبون

المباحثة التحريرية بمقتضى الكمال فكذلك تحبون المباحثة التقريرية في المشافهة أيضاً.

ولما صرحتم في تأليفاتكم أن مسألتي النسخ والتحريف أعظم المسائل المتنازع فيها بين المسيحيين والمحمديين وقلتم إنها أول أمور من المباحثة كما هو مصرح مكتوبكم الأول المندرج في "حل الإشكال" فالفقير أيضاً سلم كونها عمدة اتباعا لرأيكم ورضى أن تكون المباحثة أولا على هاتين المسألتين وبعدهما يتكلم في المسألة التي يقع عليها رضا الطرفين فإن كان هذا الأمر مقبولا عندكم فعينوا يوماً ومكانا ثم أخبروني لأقيم في هذاالبلد "اكرا" إلى أن أفرغ عن هذا الأمر (المناظرة) وإلا أرجع إلىَ دهلي إذ لا مطلوب لي في الإقامة بهذا البلد فأرجو من لطفكم أن تخبروني في جواب هذا المكتوب عن أحد الأمرين قبول المناظرة التقريرية أو عدم قبولها ووصل إليكم كتابي "إزالة الأوهام من دهلي الغالب أن رسالة أحس الأحاديث في إبطال التليث" وصلت ايضا إليكم وسيصل إليكم كتاب "الأعجاز العيسوي" الذي حصل لي الفراغ من تأليفه في هذه الأيام وأخذت في آخره الفصل الثالث من الباب الأول من ميزان الحق أيضاً وأجبت عنه كلمة كلمة وسيصل بعد ذلك كتاب إزالة الشكوك الذي هو جواب سؤالات الكرانجي وفرغت عن تأليفه من مدة ووقع الهرج في طبعه بسبب وصولي إلى هذا البلد ويطبع إذا رجعت إلى دهلي وبعد ذلك يصل كتاب الاستبشار[15] الذي هو رد حل الإشكال وألفه بعض أحبائي وأرسله إلى وسيطبع أيضاً

ويصل بعد ذلك "معدل اعواجاج الميزان جواب ميزان الحق الذي جاء ذكره في إزالة الأوهام فالحاصل أن كل كتاب بعد الطبع يصل إليكم.

هدانا الله وعباده أجمعين إلى معرفة الحق ووفقنا للسلوك على الطريق المستقيم وخلصنا من التعصب والأمور المضرة للآخرة (أمين).[16]

المكتوب الأول من القسيس فندر

إلى الشيخ رحمت الله

بتاريخ 1854/3/23م

وصل كتابكم الكريم وانكشفت الحالات وتأسفت على أنكم شرفتم بيتي وما كنت حاضرا ورجعتم بلا نيل المقصود لكني معذور ما كنت مطلعا على عزم مجئيكم من قبل وما قلت للفاضل أمير الله في مجيئكم على بيتي غير أني قلت في جواب بعض أقواله هذا الكلام يقينا إن كانوا طالبي المناظرة علانية فلا بد من الملاقاة أولا وما أمرت كما أشرتم وظهر من مكتوبكم أن مقصودكم المباحثة العلانية في مجمع الأشخاص من الفريقين وهذه الطريقة وإن لم تكن عندي مفيدة إفادة كثيرة لكني لست بخارج عن إطاعة أمركم أشاور أولا في تعيين اليوم والوقت اثنين أو ثلاثة من أمراء الإنجليز ثم أخبركم ينعقد مجفل المناظرة بعد، والمستحسن أن يراعي في هذه المباحثة هذه الأمور.

الأول: أن تكون المناظرة في النسخ والتحريف كما استدعيتم

والثاني: يتكلم في أمر يكون مختار الطريفين

الثالث: أن يكون واحد حكما يقال لـه (Chairman) في عرف الإنجليز لئلا يكون محفل المناظرة عاريا من حسن الانتظام والتهذيب[17]

المكتوب الثاني من الشيخ

بتاريخ 1854/3/24م

وصل كتابكم الكريم وصرت ممنونا لأجل قبولكم المناظرة العلنية وظهر ما وعدتم من الإخبار عن تعيين اليوم والوقت بعد المشاورة والأمر الأول أي المناظرة في النسخ والتحريف كان مقبولاً عندي من قبل اتباعا لرأيكم والأمر الثالث التقييد بمبحث المناظرة لما كان محموداً مستحسنا موافقاً لدأب المناظرة صار مقبولا بكمال الرضي لكن الأمر الثاني محتاج إلى شيء من التوضيح فذلك أكلفكم أن تصرحوا أن مقصودكم ماذا من هذه الفقرة – الثاني يتكلم في أمر يكون مختار الطرفين – لأبادر إلى القبول بعد العلم بقي الأمر الرابع – الحكم – فالغالب أن مرادكم بلفظ أحد أمير من أمراء الإنجليز وإني غريب في هذا البلد لا أعرف أحداً من هؤلاء العظام لأظهر رضاي به وإن رضيت بأحد من أهل الإسلام فالغالب أن هذا الأمر لا يكون مقبولا عندكم على أن هذه المباحثة تكون في المسائل العظيمة ففي هذه الصورة سواء كان الحكم مسيحيا ومحمديا لا ترتفع شبهة رعاية الحكم عن قلوب الخلق سواء أكان مسيحيا أو محمدياً فأرى أن لا يكون هذا الأمر مشروطاً وظاهر أن هذا الأمر ليس بمحتاج إليه لأنه إذا كان اهل العلم في محفل المناظرة فهذا المحفل لا يكون عارياً عن حسن الانتظام والفقير قليل

المعرفة باللسان الإنجليزي ويحتاج الفريقان إلى تصحيح النقل عن الكتب فجعلت الحكيم محمد وزير خان شريكا لي فاختاروا أنتم لأجلكم شريكا يكون لائقا بهذا الأمر.

ويراعى إلى آخر المباحثة أن لا يكون لأحد دخل في أنثاء المناظرة ولا يتكلم بلا أو نعم غير الأربعة أعنى إياكم وشريككم وإياي والحكيم محمد وزير خان[18]

المكتوب الثاني من القسيس فندر

بتاريخ 1854/3/25م

وصل كتابكم الكريم في جواب كتابي وانكشفت مضامينه إنكشافا بينا وهذا العبد أيضاً راض أن تكون الاثنان الاثنان من الجانبين ولا يكون الحكم فكون الحكيم محمد وزير خان في جانبكم مقبول ويكون القسيس فرنج في جانبي لكنه يروح اليوم إلى "علي جره" وغيرها لأجل تبديل الهواء ويرجع بعد أسبوعين فتكون المباحثة متأخرة إلى مجيئه فإذا جاء ينعقد محفل المناظرة.

ولما جرت العادة أن أكثر الناظرين والسامعين يجتمعون عند انعقاد أمثال هذا المحفل فالمتقين أنه يجتمع في هذا الوقت من الجانبين اكثر الأمراء من الإنجليز واكثر اهل البلدة ولا يكون لأحد دخل في المباحثة إلا أن خطر ببالي أحد قول حسن أو كلمة مستحسنة لا يكون لـه ممانعة من الإظهار وتكون الممانعة عن الدخل في المناظرة ويكون هذا الأمر

منحصراً في الاثنين والاثنين الذين تقروا من كل جانب.[19]

فقد تبادل أحدهما لآخر عدة رسائل لإتفاق امور المناظرة وترتيبها وفي النهاية اتفق الجانبان على تقديم موضوعي النسخ والتحريف واتفقا على أن يعترض الشيخ في مسائل النسخ والتحريف وعقيدة التثليث وألوهية المسيح فيحبها القسيس فندر والشيخ يجيب مسألتي النبوة وإعجاز القرآن ويعترض فيهما فندر يقول الشيخ في بداية إظهار الحق "فألفت أولا الكتب والرسائل ليظهر الحال على أولى الألباب واستدعيت ثانيا من القسيس الذي كان بارعاً وأعلى كعبا من العلماء المسيحيين الذين كانوا في الهند مشتغلين بالطعن والجراح على الملة الإسلامية تحريرا وتقريرا أعنى مؤلف "ميزان الحق" أن يقع بيني وبينه المناظرة في المجلس العام ليتضح حق الاتضاح أن عدم توجه علماء المسلمين ليس لعجزهم عن رد رسائل القسيسين كما هو مزعوم بعض المسيحيين، فتقررت المناظرة في المسائل الخمس التي هي أمهات المسائل المتنازعة بين المسيحيين والمسلمين أعنى: التحريف والنسخ والتثليث وحقية القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم.[20]

وكذلك اتفق الشيخ وفندر على أن لا يجوز لأحد التدخل والكلام أثناء البحث إلا لطرفي المناظرة ولا يجرى البحث في أي مسألة أخرى الا بعد اتمام البحث الجاري وإذا بقيت أمور يرغب أحد الطرفين في الاستفسار عنها يكون ذلك في المباحثة التحريرية وكانت من أهم شروط المناظرة انه اذا لم يستطع القسيس الإجابة عن الأسئلة يجب عليه قبول دين الإسلام وإذا

عجز الشيخ رحمت الله عن الإجابة أن يعتنق الدين النصراني.[21]

وبعد أن تم الاتفاق بينهما في الأمور المذكورة حددا الأسبوع الأول صباح يومى الاثنين والثلاثاء بتاريخ 10 و 11 نيسان 1854م في خان عبد المسيح الذي كان مدرسة في الأيام السابقة لقد انعقد المجلس العام للمناظرة في الساعة السادسة والنصف صباحاً ببلدة أكبر آباد احدى مديريات الولاية الشمالية احد مجالات النشاط التبشرى في الهند، وتوافد الناس لحضور المناظرة من المسلمين والمسيحيين والهندوس والحكام الإنجليز وكبار الموظفين المدنيين والعسكريين وكذلك حضرها مراسلو الصحف كما حضر مجلس المناظرة من الإنجليز كرسجن مستشار النظارة المالية ووليم الحاكم العسكري للمنطقة وإسمت حاكم صدر ديواني وغيرهم من كبار الموظفي الإنجليز.

وابتدأت المناظرة في اليوم الأول بقول القسيس فندر بأعلى صوته مخاطبا الحاضرين أن هذه المناظرة التي انعقدت باستدعاء الفاضل رحمت الله رضيت بها مع أنني لا أرى فائدتها ويكون موضوع البحث قضايا النسخ والتحريف في الكتب المقدسة والتثليث ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم بدأت المباحثة أولا في موضوع النسخ واختار الشيخ فيها موقف الهجوم بدل موقف الدفاع وقدم الأدلة القاطعة والحجج البالغة لإثبات دعواه في النسخ وجاء بالشواهد ذكرها علماء الدين المسيحي في العصور المختلفة والكتب المتنوعة نظرا إلى هذه الشواهد والدلائل بهت الدكتور فندر ولم

يقدر على ا لدفاع النسخ فتم الكلام على مبحث النسخ قبل نهاية جلسة اليوم الأول وأجبر الشيخ القسيس فندر على اعتراف ثلاثة أمور:

الأول: إمكان النسخ في كلام الله

والثاني: وقوع النسخ في أحكام التوارة

والثالث: وقوع النسخ في أحكام الإنجيل كذلك،

وتمت الجلسة الأولى بانتصار الحق على الباطل وظهر للحاضرين أن كلام القسيس فندر في ميزان الحق على امتناع النسخ لغو.[22]

واستمرت المباحثة في موضوع التحريف وقد أتى الشيخ بعشرات شواهد في إثبات التحريف وكان يأتي بشاهدين أو ثلاثة على القضية الجزئية كنسخ حكم معين أو تحريف جملة أو أية معينة مما يدل على أنه كان ينقب تنقيبا دقيقا في كتب خصمه ولا يكرر الأدلة والشواهد كما هو حال خصمه استدلال الشيخ في المناظرة يدور حول واحد من الأمور الثلاثة: وكان يستمد إما بالعقل والحكمة أو من كتب العهدين التي يؤمن بها الخصم أو كلام علماء النصارى المعتبرين، وتكون حجج الشيخ قوية لا التباس فيها ولا تحتاج إلى الجدل الطويل ولا تحتمل التأويل حتى لم يملك فندر وشريكه إلا التسليم أو السكوت فيها فالشيخ رحمت الله أثبت أن التحريف قد وقع في عدة مقامات في الإنجيل وأجبر القسيس فندر وعلى الاعتراف بوقوع التحريف مع ذلك كان يريد القسيس من المسلمين موافقتهم على أن كتب العهدين إلهامية رغم تحريفها بعشرات الألوف من المواضع،

فقال المفتي رياض الدين الذي كان موجوداً في مجلس المناظرة إن حكام الإنجليز الذين كانوا موجودين في الجلسة يعرفون أن الوثيقة إذا ثبت فيها النقص و الزيادة أو والتحريف لا يعتمد عليها وأشار المفتي إلى قول أحد الحكام "إسمت" مشير الضبطية،: إسألوا فندر الذي يدعي سلامة الكتب المقدسة من النقصان رغم وجود التحريف فيها عن جواز الاعتماد عليها ولكن فندر لم يقل أي شيء بهذا الخصوص فكأنه أقر بمضمون كلام المفتي.[23]

إن مناظرة اليوم الأول لفتت أنظار المسلمين في داخل البلد وخارجه وكان اعتراف فندر بوقوع التحريف ثمانية مواضع من الإنجيل حديث النوادي والشغل الشاغل في البلد وقد أفزع ذلك الولاة وأنصار فندر وشيعته وأحسوا ان نشر المسيحية في الهند سيتأثر تأثيرا كبيراً لكنه سهم أطلق من القوس فلا راد لـه وتزايد عدد الحاضرين في الغد وازداد عدد الحكام والإنجليز والمسيحيين والهنادك والسيخ وحضرها جم غفير من المسلمين وأصر فندر على أن الأخطاء واختلاف العبارة التي وقعت في الإنجيل كانت من سهو الكاتب أما العبارات التي تتضمن عقيدة التثليث وألوهية المسيح والفداء والشفاعة فهي محفوظة من التحريف فرد عليه الشيخ إنك ما دمت قد اعترفت بوقوع التحريف في الإنجيل فقد أصبح هذا الكتاب مشكوكا فيه برمته وانتهى البحث على ذلك ولم يرجع القسيس اليوم الثالث إلى البحث والمناظرة وأصبح شعارا لـه إذا علم حضور الشيخ في مكان

غادره.[24]

وكان من الواضح أنه انسحب عن ميدان المناظرة وكان انتصارا رائعاً للإسلام والمسلمين قويت به معنوية المسلمين وتشجعوا على مواجهة القسوس ورد دعاويهم وفقدت الدعوة التبشيرية الكثير من اعتبارها وقيمتها يقول مولانا عبد الحي الحسني في كتابه "نزهة الخواطر" ظهرت الغلبة لرحمت الله في مسألتي النسخ والتحريف.[25] ولما ظهرت الغلبة بفضل الله في هذه المناظرة للمسلمين صار المتحيرون منهم ثابتين على دينهم متيقنين منه ورأوا أن هذا النصر ليس خاصاً بالشيخ رحمت الله إنما انتصار الإسلام على النصرانية وانتصار المسلمين على الإنجليز والمنصرين وإن نكوص فندر عن إتمام جلساتها زاد المسلمين قوة.

وكان لهزيمة فندر في المناظرة رد فعل عنيف لدى النصارى والمنصرين بالهند وقد استاؤا من الطريقة التي اختارها فندر لنشر الدين المسيحي في الهند يكتب الدكتور عبد القادر نقلا عن الغارة على العام الإسلامي:

"وحث هاريك على ترجمة الإنجيل وكتب التنصير بدون مجادلات لأن مجرد شراء المسلم لهذه الكتب ومطالعتها يبدد أوهامه القديمة ثم قال: إن الجدل والمناظرة يبعدان المحبة التي لها وقع كبير على قلوب الأغيار وتأثيره عظيم في نشر النصرانية فالمحبة والمجاملة هما آلة المبشر لأن طريق الاعتقاد غايته دائما هو قلب الإنسان ثم قام بعده القسيس ثرونتين

فأيده في أن الشرق سئم المجادلات الدينية وأنه بحاجة إلى دين روحي ويجب عدم إثارة النزاع الديني مع المسلم وعدم الطلب منه الموافقة والتسليم بمبادئ النصرانية إلا عرضا خوفا من حدوث سوء التفاهم حول المسائل الخلافية.[26]

يبدو من هذه الإقتباس أن المنصرين قد تركوا سبيل الإجبار على تنصير الهند وخاصة المسلمين وظهر لهم الأمر أن طريقة فندر في المناظرة والجدل كانت غير صالحة لنشر النصرانية وخاف المنصرون والقسوس على افشاء الأخطاء في الإنجيل، لقد جر القسيس فندر على النكسية خزياً وعاراً كبيراً ولم يستطع البقاء في الهند، وبعد ما قضى فترة في الأقطار الأوروبية كألمانيا وسوسيرا وانجلترا أرسلته الإرسالية الكنيسة في لندن إلى القسطنطنية ليقوم بالدعوة والتبشير في مقر الخلافة الإسلامية وقلب العالم الإسلامي حيث أشاع فندر أن علماء المسلمين في الهند قد انهزموا وانغلبوا وحولت جميع المساجد إلى كنائس وانتصرت النصرانية على الإسلام وأشبه ذلك من أباطيل فقد اضطربت الأوساط الدينية في تركيا من هذه الإشاعات وانزعج السلطان عبد العزيز من هذه الأخبار وطلب معرفة الحقيقة من والي مكة المكرمة.

وعندما سمع القسيس فندر وصول الشيخ محمد رحمت الله إلى قسطنطنية ولى هارباً وقد أكرم السلطان الشيخ اكراماً بالغاً وأقام اجتماعاً دينياً عظيماً دعى إليه كبار علماء الدين ورجال الدولة وأستدعى الشيخ

ببيان تفاصيل الثورة وما دار في المناظرة بينه وبين القسيس فندر وما حدث في المقاومة ضد النصرانية وعندئذ أمر الخليفة بالقبض على القسيسين ودعاة النصرانية ومصادر كتبهم وإغلاق مراكزهم.

كتاب إظهار الحق

طلب السلطان عبد العزيز ورئيس الوزراء خير الدين باشا والحكام في تركيا من الشيخ بعد وصوله إليها أن يؤلف كتاباً بالعربية يتناول فيه القضايا الخمس التي دار حولها البحث في مناظرة "اكرا" فبدأ الشيخ وهو في الآستانة تأليف هذا الكتاب بتاريخ 16 رجب 1280هـ وانتهى منه في نهاية ذي الحجة من نفس العام يقول الشيخ نفسه في بداية "اظهار الحق"

"ثم وقع لي الاتفاق أن وصلت إلى مكة شرفها الله تعالى وحضرت أمام الأستاذ العلامة والتحرير الفهامة عين العلم والدراية. ينبوع الحكم والرواية شمس الأدباء، تاج البلغاء. مقدام المحققين ومرجع المدققين. إمام المحدثين الفقهاء والمتكلمين فلذة كبد البتول،سمى الرسول السيد أحمد بن زين دحلان أدام الله فيضه إلى يوم القيامة فأمرني أن أترجم باللسان العربي هذه المباحث الخمسة من الكتب التي ألفت في هذا الباب لأنها كانت إما بلسان الفرس وإما بلسان مسلمي الهند ورأيت إطاعة أمر مولاي بمنزلة الواجب وشمرت من ساق الجد لامتثال أمره فأرجو ممن سلك مسلك الإنصاف وتنكب عن طريق الاعتساف أن يستر خطيئتي ويجر قلم الإصلاح على هفواتي وأسأل الله الميسر لكل صعاب أن يمن على ما

يرشدني إلى الحق والصواب ويجعل هذا الكتاب مقبولا لدى الأنام منتفعا به الخاص والعام ويوصونه عن شبهات المبطلين وأوهام المنكرين وهو الوالي للتوفيق وبيده أزمة التحقيق وهو على كل شيء قدير بالإجابة جدير وسميته "إظهار الحق" ورتبته على مقدمة وستة أبواب."[27]

أما المقدمة فقد رد الشيخ فيها بايجاز على بعض أقوال القسيس فندر في "ميزان الحق" وذكر مغالطته في النقل عن الكتب الإسلامية وذكر شواهد على تحريف الأناجيل وأنها على صورتها الحالية ليست منزلة ثم ذكر نماذج من بذاءة المنصرين ورد على دعاويهم المعرفة بالقرآن الكريم واللغة العربية.

ويشتمل هذا الكتاب على ستة أبواب وعدة فصول في كل الأبواب،

الباب الأول: بين المؤلف فيه كتب العهدين القديم و الجديد و فيه أربعة فصول.

الفصل الأول: ذكرت فيه أسماء الكتب و تعدادها.

الفصل الثاني: بين الشيخ فيه بأن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل كتاب من كتب العهدين.

الفصل الثالث: أوضح الكاتب فيه أن هذه الكتب الموجودة مملوءة بالاختلاف و الأغلاط.

الفصل الرابع: أثبت المناظر الكبيرفيه أن لا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كل سفر من أسفار العهدين كتب بالإلهام.

الباب الثاني: قد تعرض فيه لإثبات تحريف كتب العهدين القديم والجديد بجميع أنواع التحريف وقسمه إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول : أثبت فيه التحريف اللفظي بالتبديل.

النوع الثاني : ذكر فيه التحريف بالزيادة.

النوع الثالث : جاء فيه بإثبات التحريف بالنقصان.

الباب الثالث: قد أتي المؤلف فيه بالنسخ وبين النسخ لغة و اصطلاحا وذكرجوازه عقلا ووقوعه فعلا في الشرائع السابقة وجاء ببطلان ادعاءات أهل الكتاب بأن الإسلام غير ناسخ لشرائعهم.

الباب الرابع: في إبطال عقيدة التثليث، كتب فيه المؤلف مقدمة و ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أبطل الشيخ عقيدة التثليث بالبراهين العقلية.

الفصل الثاني: استدل الكاتب فيه بأقوال المسيح عليه السلام في إبطال التثليث.

الفصل الثالث: قد ناقش المؤلف فيه أدلة النصارى النقلية على ألوهية المسيح وأبطلها وبين أنه ليس في الشيء منها التصريح بألوهيته.

الباب الخامس: أثبت فيه أن القرآن الكريم كلام الله ومعجزه و رفع شبهات القسسين و جاء فيه بأربعة فصول:

الفصل الأول: بين فيه الأمور التي تدل على أن القرآن الكريم كلام الله و معجزه.

الفصل الثاني: لقد رفع فيه شبهات القسسين عن القرآن الكريم.

الفصل الثالث: في إثبات صحة الأحاديث النبوية في كتب الصحاح من كتب أهل السنة و الجماعة.

الفصل الرابع: دفع الشيخ شبهات القسسين الواردة في الأحاديث النبوية.

الباب السادس: أثبت الكاتب نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و دفع مطاعن القسسين و قسم الباب في فصلين.

الفصل الأول: أثبت فيه نبوة محمد صلى الله عليه و سلم.

الفصل الثاني: دفع العلامة فيه المطاعن من قبل القسسين.

لقد طبع هذا الكتاب لأول مرة باللغة العربية في أستانبول عام 1871م وبعد صدور الطبعة الأولى في اللغة العربية أمر السلطان العثماني عبد الحميد خان بترجمته وطباعته وتوزيعه في العالم الإسلامي وفعلا نقل إلى عدة لغات أجنبية منها: الألمانية والفرنسية والإنجليزية ثم قام بنقل الجزء الأول إلى اللغة التركية وسماه "إبراز الحق" كما نقل إليها الجزء الثاني الشيخ عمر فهمي بن حسن الأنقروي وترجمه مولانا سليم الله إلى اللغة الأردية ولكنه لم يوفق لطباعة ثم قام غلام محمد الراندیري بن الحاج حافظ صادق بترجمته إلى اللغة الغجراتية وطبعه عام 1918م

بمطبعة ديشي منتسير سورت في مجلد واحد، وترجمه كاتب من الكتاب الهنود إلى اللغة الانجليزية باسم "The Truth Revealed".[28]

وأخيراً قام بترجمته الشيخ اكبر علي السهارنفوري أستاذ الحديث في دار العلوم بكراتشي في باكستان – إلى اللغة الأردية وقد طبع في باكستان في ثلاث مجلدات باسم "بائبل سى قرآن تك" وقام بمراجعته الشيخ محمد تقي العثماني.

أسلوبه

وإذا أمعنا النظر في أسلوب الشيخ في كتابه إظهار الحق لوجدنا أنه سلك مسلك الهجوم على الخصم وعقائده وأدلته وكتبه وأجبر خصمه على موقف الدفاع بدل الهجوم ولم يتبع طريقة العلماء الذين كانوا يتعرضون للرد على المنصرين والمستشرقين ويضعون دينهم موضع المتهم ويقفون موقف الدفاع عنه ولم يقدم الشيخ الأدلة الغامضة والاستنباطات المعقدة بل جاء بها في كتابه بكل وضوح وصراحة وسهولة وقد ابتعد في أدلته عن الفرعيات وركز اهتمامه على نقد العقائد الأساسية التي يكفى إبطال الواحدة منها لهدم الأصول التي يعتمد الخصم عليها.

وكتب مقدمات طويلة و قصيرة حسب الحاجة للكتاب وأبوابه وفصوله وسماها أحيانا فوائد أو تنبيهات تعين الدارس على إزالة إشكالات كثيرة أثناء الدارسة ويستدل الشيخ بأكثر من دليل على قضية واحدة لتقوية أدلته وإقامت الحجة على خصمه وكذلك رتب أبواب هذا الكتاب بحسب

رغبته في ترتيب موضوعات المناظرة فقد بدأ بالتحريف فالنسخ فالتثليث فإعجاز القرآن ثم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأثبت هذه القضايا الخمس من أسفارهم وأقوال كبار علماءهم ومحققيهم ومفسريهم ولم يلجأ إلى القرآن والسنة والأدلة العقلية إلا البعض القليل عند اقتضاء ضرورة الكلام وذلك لأن أهل الكتاب ينكرون القرآن والسنة فلا نفعهم الاستدلال بها.

ولم يستدل الشيخ بالأدلة العقلية إلا في بعض المواضع فأنه غاص في كتبهم واستخرج مما في كتبهم وأثبت تحريفها ونسخها بنفس آياتها و وحدانية الله تعالى ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم بنفس آيات أسفارها وقام الشيخ بتقسيم التحريف إلى ثلاثة أنواع التحريف اللفظي بالتبديل والتحريف بالزيادة والتحريف بالنقصان وكشف أخطاء كثيرة بين المطبوعات المختلفة زمنا ولغة فيشير إلى النسخة العبرانية واليونانية والسامرية و الترجمة العربية والفارسية والأردية.

قد جاء الشيخ بأسلوب رائع جذاب من كل ناحية يمتاز أسلوبه بألالفاظ السهلة والجمل الفائقة والتراكيب الممتازة ويبتعد عن التعقيد اللفظي والعبارات المعقدة يفهمها القارى لأول وهلة ومع ذلك كله هناك بعض الأخطاء اللغوية فيشير إليها المحقق الكبير عمر الدسوقي ويقول:

"هذا ولما كانت لغة المؤلف الأصلية غير العربية كانت لـه هفوات في الأسلوب العربي رأيت أن أنبه عليها، ولما كانت غايتي أن أجعل هذه النسخة واضحة أمام القارئ العربي فقد قمت بتصحيح بعض هذه الهفوات

من ذلك:

1- عدم وضعه (أل) مع كلمتي بروتستانت وكاثوليك أيا كان موضعهما في الجملة، وقد اضطررت حتى تستقيم العبارة إلى وضع (أل) معهما.

2- كان المؤلف يخطئ في الأعداد من ناحية التذكير والتأنيث فيقول مثلاً: السنة الثالثة عشر، والصحيح الثالثة عشرة، وكذلك في عدد الآيات فيقول: الآية الثانية عشر، ويقول بألوف السنين أي آلاف السنين.

3- يضع (أل) مع غير في مثل قوله (ومترجميهم الغير المحصورين) والصحيح غير المحصورين لأن غير لا تدخل عليها (أل) في مثل هذا الموضوع لاستغرقها في الإبهام.

4- لا يحذف (أل) من المضاف فيقول "وغيره من العلماء المسيحية" ويقول: "من القدماء المؤرخين" والصحيح من قدماء المؤرخين ومن علماء المسيحية.

5- لـه جموع عجيبة مثل ذمائم جمع مذمة وجمعها الصحيح مذمات.

6- تراه ينسب إلى كنايات العدد فيقول (كذائية) نسبة إلى كذا وهذا لم يسمع في اللغة العربية.

7- يستعمل ألبته بمعني حتماً فيقول "وهو غلط ألبتة."

8- لـه أساليب كثيرة لا تجري على سياق العربية من مثل قوله "في

أعداد هذه كتب التواريخ" يريد أن يقول: "في أعداد كتب التواريخ هذه" فقدم اسم الإشارة فأفد تركيب الجملة.

9- ولـه أخطاء في استعمال العدد وتمييزه فيقول ألف وخمسمائة زبورات والصحيح زبور بالمفرد ويقول ثلاثة آلاف أمثال والصحيح مثل بالمفرد. ويقول أحد وأربعون كتاباً بدلا من واحد وأربعين كتاباً.

10- يكتب الأسماء تبعاً لنطقها الإنجليزي فيقول: في أفريقيا أفريكا وإيطاليا إتالي وغير ذلك.

وقد حاولت جهدي تصحيح هذه الهفوات حتى تستقيم العبارة ويقرأ النص صحيحاً، وقد نبهت على ذلك في الهامش تبعاً لاحترام النص.[29]

آراء العلماء على "إظهار الحق" وقيمته العلمية

إن هذا الكتاب يعد من خير ما ألف للرد على النصارى وكشف زيف مزاعم المنصرين الدينية والتاريخية بأسهل الطرق وأقربها، فقد أخذ الباحثون عن الحق يتلقفون طبعات هذا الكتاب للدراسة والإستفادة منه واعتبروه من المراجع القيمة في مقارنة الأديان.

ينقل مولانا عبد الحي الحسني في كتابه "نزهة الخواطر" "وفزعت الأوساط النصرانية الأوربية وجاء في تعليق كبرى صحف انجلترا London Times على هذا الكتاب "لو دام الناس يقرؤن هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم"[30]

ألف الشيخ عبد الرحمن بك باجه زاده الشهير في الأوساط العلمية "الفارق بين المخلوق والخالق" للرد على النصرانية "أن الأستاذ الفاضل رحمت الله الهندي – قدس الله روحه – في كتابه إظهار الحق فضح كتبهم وبين ما فيها من التحريف والمناقضات تجاسرهم على الله تعالى وأنبيائه الطاهرين فإن أردت الوقوف على مساوئهم فراجعه فهو يغنيك ويشفيك".[31]

يقول عمر الدسوقي في مقدمة اظهار الحق وإن المرء يشعر وهو يقرأ هذا الكتاب بأن الرجل عميق الإيمان بدينه واسع الاطلاع على ديانات غيره، متمكن كل التمكن من موضوعه وأن لـه عارضة قوية في الجدل وسوق الحجة وأنه قرأ العهدين القديم والجدير كلمة كلمة وقرأ كل ما كتبه منه علماء اليهود والمسيحية وكان من أبلغ حججه تلك الإستشهادات التي أوردها من أقوال مؤرخيهم ومفسريهم على تأييد قضية.[32]

وكذلك أثنى عليه الشيخ عبد الرحمن الجزيري في "أدلة اليقين" والشيخ محمد رشيد رضا المصري في مجلة "المنار" ومولانا اشرف علي التهانوي في "بيان القرآن" ومولانا حفظ الرحمن السيوهاروي في قصص القرآن، وغيرهم من العلماء والفضلاء.[33]

وإذا امعنا النظر في قيمته العلمية فوجدناها أن الكثير من الكتاب كتبوا في الرد على اليهود والنصارى ولكن مؤلفاتهم لم تنل قبولا ورواجاً مثل ما نال هذا الكتاب القبول والرواج من حيث أن إظهار الحق قد نقل إلى عدة لغات العالم الحية وكثرت طباعته بالإضافة إلى أن الشيخ رحمت الله

كشف أستار الباطل وبين حقيقة التثليث وما ترك السبيل للنصارى لتكذيب التحريف في الانجيل لأنه ألفه بعد أن مر بتجارب كثيرة والتقى بكثير من علماء النصارى ودرس معظم كتبهم ولا يمكن لهم أن يدافعوا به عن عقائدهم أو يعترضوا به على عقائد الإسلام فجاءت أجوبته شافية وأدلته كافية.

الهوامش

[1] الدكتور محمد عبد القادر خليل: المناظرة الكبرى، ص75،
نقلا عن تاريخ الإسلام في الهند لعبد المنعم النمر، ص334
[2] مسعود عالم الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ص184
[3] البعث الإسلامي جمادى الثانية، 1399هـ، ص55
[4] مولانا محمد سليم: ايك مجاهد معمار، ص19
[5] مولانا اسير ادروي: مجاهد اسلام مولانا رحمت الله كيرانوي، ص211
[6] امداد صابري: آثار رحمت، ص384
[7] مولانا محمد سليم: ايك مجاهد معمار، ص26
[8] محمد تقي عثماني: بائبل سى قرآن تك، ص213
[9] مولانا محمد سليم: ايك مجاهد معمار، ص27
[10] مولانا محمد ميان: علماء هند كا شاندار ماضي، ص311، 312، 313
[11] ملك بابلي تولى العرش بعد أبيه سنة 605 ق م.
[12] هو تابوت العهد الذي صنعه موسى من خشب السنط وغشاه بصفائح الذهب وكان فيه عصا هارون والوعاء الذي يحتوى على المن ولوحا العهد والوصايا العشر والتوراة وكان بنو لاوي هم المكلفين بحمله.
[13] كلمة هيكل سومرية معناها البيت الكبير المخصص للعبادة بدأ دؤد عليه وسلم بناء الهيكل لكنه توفى فبناه ابنه سليمان عليه وسلم واستغرق بناؤه فوق سبع سنوات وبقى حوالي أربعة قرون
[14] راجع للتفصيل المناظرة الكبرى، ص150-164
[15] كتب هذا الكتاب الشيخ محمد آل حسن الرضوي الموهاني
[16] الدكتور عبد القادر خليل: المناظرة الكبرى، ص167، 168، 169
[17] المصدر السابق، ص170 و 171
[18] المصدر السابق، ص172 و 173
[19] المصدر السابق، ص174
[20] الشيخ رحمت الله الكيرانوي: اظهار الحق، ج1، ص23
[21] امداد صابري: آثار رحمت، ص146-153
[22] راجع للتفصيل المناظرة الكبرى، ص201-295
[23] داكتر نواز ديوبندي: سوانح علماء ديوبند، ص201-295
[24] مولانا عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، ج8، ص161
[25] مولانا عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، ج8، ص161
[26] الدكتور عبد القادر خليل: المناظرة الكبرى، ص376
[27] الشيخ رحمت الله: اظهار الحق، ص24
[28] مولانا تقي عثماني: بائبل سى قرآن تك، ج1، ص214
[29] عمر الدسوقي: مقدمة اظهار الحق، ص17، 18، 19
[30] مولانا عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، ج8، ص161 و 162

[31] محمد تقي عثماني: بائبل سى قرآن تك، ج1، ص315
[32] عمر الدسوقي: مقدمة اظهار الحق، ص15 و 16
[33] محمد تقي عثماني: بائبل سى قرآن تك، ج1، ص116، 117، 118

الخـاتمة

نشأ الشيخ رحمت الله الكيرانوي وترعرع في عصر عمت فيه الفوضى والإنتشار وكانت الشعوب الهندية تواجه مشاكل كثيرة وصعوبات عديدة في المجالات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والدينية وغيرها وبالوجه الخصوص كان الشعب المسلم يمر بالأيام الصعبة والأحوال السيئة لأن الإنجليز بعد أن تولوا الحكم في الهند ينظرون إلى الشعب المسلم كالمنافس الطبيعي الوحيد والخطر الحقيقي على زحفهم وتقدمهم في آسيا وإفريقيا بصفة خاصة، فقد صبوا جام غضبهم على أبناء الإسلام وكثفوا دعوتهم التبشيرية وقامت الحركات التنصرية بإثارة الشبهات بين المسلمين في أمر دينهم وعقائدهم الإسلامية والمقومات الدينية و كان المنصرون يتحدون المعتقدات الإسلامية و يهاجمون العلماء ويصفونهم بالجبن و ضعف الحجة وأنهم ليسوا بقادرين على إثبات صحة هذا الدين حتي أصبح كثير من شبابهم حيارى من أمر دينهم وقد عاش الشعب المسلم فترة قاسية ومحنة أطاشت عقولهم وشلت نشاطاتهم ولكن الله سبحانه الذي تكفل بنصرة دينه و أراد أن يحق الحق و يبطل الباطل و لو كر المجرمون و حمي الله هذه البلاد بتعيين خير رجال في كل المجالات الحياتية ضد الإنجليز.

فقيض الله الشيخ في مجال الدين لقيادة المقاومين الحركات التبشيرية في البلاد فألف أولاً الكتب و الرسائل رادا على دعاويها الباطلة و استدعى ثانيا من القسيس الذي كان بارعا و أعلى كعبا من العلماء المسيحيين أن تقع بينه و بين القسيس المناظرة في المجلس العام، و أوضح الشيخ فيها حق الإيضاح أن علماء المسلمين قادرون على مواجهة التحديات التنصيرية في جميع أشكالها و أقسامها ثم كتب الشيخ كتابا شاملا في أمهات المسائل المتنازعة بين المسيحيين والمسلمين فقد أعطى الباحثين قلعة حصينة وكنزا ثمينا و منح الدعاة المخلصين سلاحا حادا في صورة كتابه " إظهار الحق ".

و كانت نتائج جهود الشيخ أن الحملات التنصيرية تراجعت على أعقابها و أصيبت بالكسل والوهن وضعف تيارها الحالك بين الهنود و فقدت اعتبارها وقيمتها أمام المتأثرين بدعوتها ففضل الشيخ ومجهوداته ما كان للإسلام والمسلمين فقط بل أحاط بالأديان الهندية التي كانت متأثرة بتلك الفتن التنصيرية فلا ننسى نحن الهنود فضله الكبير وجهاده الطويل على أهالي الهند ـ إلى الأبد.

و لا تخلو من فضله أرض الحرم بأنها شاهدت مدرسة أسسها الشيخ باسم المدرسة الصولتية في مكة المكرمة و جعل نظام تعليمها منظما و مرتبا لم يكن موجودا هناك في ذلك الزمن فالمدرسة تهيئ مرافقات الإقامة و الطعام للطلبة الوافدين من الخارج لارتواء ظمأهم العلمي و تعتني بأبناء

مكة من حيث التعليم و التربية ثم أقيم معهد للصناعة حتى يعرف الطلاب الصناعة والأعمال اليدوية لكي لا يقعون فريسة للفقر و الإفلاس بعد إكمال تعاليمهم، فكل هذا يدل على فكر الشيخ التقدمي و سعيه في رفع أفكار المسلمين و يرى أن يساير الشعب المسلم مع الشعوب المتقدمة فلا ينسى العالم الإسلامي فضله الكريم أبدا، اللهم نور قبره و أجزه أحسن الجزاء في الآخرة و أدخله جنة النعيم.

المصادر و المراجع

الكتب العربية

- أبو الحسن علي الندوي: المسلمون في الهند المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكناؤ. 1998م.
- أبو الحسن علي الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين المجمع الإسلامي العلمي ،ندوة العلماء، لكناؤ، الهند
- ابوالحسن البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1983م.
- ابوالحسن علي الحسني الندوي: إذا هبت ريح الإيمان دار عرفات، للثقافة و النشر تكيه كلان، راى بريلي، الهند، 1980م.
- ابوالحسن علي الحسني الندوي: الإسلام و المستشرقون مجموعة مقالات علمية ألقيت في الندوات العالمية لجمع دار المصنفين،دارالمصنفين، اكاديمية شبلي أعظم جره يوبي الهند.
- خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، المجلد الثالث، دارالعلم للملأيين، بيروت. لبنان. الطبعة السابعة، مايو 1986م.
- الدكتور زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي بيروت ـ لبنان. 1981م.
- الدكتور غوستاف لوبون:حضارة العرب،نقله إلى العربية: عادل زعيتر دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثالثة، 1956.
- الدكتور محمد عبدالقادر خليل: المناظرة الكبرى دار ابن تيمية للنشر و التوزيع و

الإعلام الرياض.

- رحمت الله الكيرانوي: إظهار الحق، إخراج و تحقيق عمر الدسوقي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت
- عبد الحق: الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية منذ الاستقلال المعهد الديني للدراسات الإسلامية، نيو دلهي، 1989م
- عبد الحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي دار عرفات راى بريلي الهند، 2001م.
- عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر، مكتبة دارعرفات، إدارة الشيخ علم الله راى بريلي، الهند،1992م.
- عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند، مكتبة وهبة، شارع الجمهورية بعابدين، 1964م.
- مسعود عالم الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، دار العربية،1947،

الكتب الإنجليزية

- Arjun Dev, Indira Arjun Dev: Modern India, Class VIII, NCERT,
- B.L Grover & S. Grover: A New Look On Modern Indian History S. Chand & Company (Pvt.) Ltd.
- Chandra, Bipan: Modern India NCERT, Shri Aurobindo Marg New Delhi September 1976.
- Chadra, Satish: Medieval India, NCERT, New Delhi, May 2005.
- Jha, D.N.: Ancient India in Historical Outline, Manohar Publishers and Distributors Darya Ganj, New Delhi, 2001.
- Khullar, D.R.: India a Comprehensive Geography, Kalyani Publishers, Daryaganj New Delhi, 2005
- Nehru, Jawharlal: The Discovery of India, Jwaharlal Nehru Memorial Fund, Teen Murti House, New Delhi-11, 1988.
- Parsad , Ishwari: History of Medieval India, The Indian Press LTD. Allahabad, 1948.

الكتب الأردية:

- امداد صابري : آثار رحمت ناشر: مولانا عبد الباري صاحب معرفت تاج بكدبو بريميت مسجد مدراس، مطبوعه يونين برنتنك بريس - دهلي.
- امداد صابري: فرنكيون كا جال امداد صابري ببليشرز- جوري والان، دهلي.
- ببن جندرا: جديد هندوستان، NCERT،
- داكتر نواز ديوبندي:سوانح علمائ ديوبند، نواز ببلي كيشنز ديوبند - يوبي. جنوري 2000م.
- سر سيد أحمد خان: اسباب بغاوت هند ناشر: يونيورستي ببليشر- مسلم يونيورستي علي كره طباعت: محبوب المطابع برقي بريس - دهلي
- سعيد احمد اكبرآبادي: علماء هند كا سياسي موقف مجلس يادكار، كراجي، باكستان..
- سيد ابراهيم فكري: هندوستاني سلمانون كا جنك آزادي مين حصه غفار منزل - جامعه نكر- 1994.
- سيد سليمان ندوي: عرب و هند كى تعلقات، مطبع معارف أعظم جره، 1979م.
- سيد محمد ميان: علماء هند كا شاندار ماضي جلد جهارم ايم برادرس - كتابستان قاسم جان استريت، دهلي.
- الطاف حسين حالي: حيات جاويد قومي كونسل براى فروغ اردو زبان نئ دهلي - 2004م.
- عبد الرشيد ارشد: بيس برى مسلمان مكتبه رشيديه - 25/ لوترمال - لاهور، باكستان - 2006م.

- مناظر أحسن كيلاني: سوانح قاسمي مطبوعه: دهلي
- مولانا اسير ادروي: مجاهد اسلام مولانا رحمت الله كيرانوي ناشر: فريد بك دبو برائوت لميتيد - دهلي.اكست/2004.
- مولانا اسير ادروي: تحريك آزادي اور مسلمان دار المؤلفين - ديوبند - يوبي، 1988م.
- مولانا اسير ادري: دارالعلوم ديوبند احياء اسلام كي عظيم تحريك ناشر: دار المؤلفين - ديوبند - يوبي طبع جهارم - دسمبر 1999م.
- مولانا رحمت الله كيرانوي: بائبل سى قرآن تك ترجمه: مولانا أكبر علي استاد دارالعلوم كراجي شرح و تحقيق جستس محمد تقي عثماني حافظي بك دبو ديوبند، يوبي.
- مولانا محمد سليم: ايك مجاهد معماراشر: فريد بك دبو (برائيوت) دريا كنج، نئي دهلي - 2 ديسمبر 2005.

المجلات

- البعث الإسلامي: جمادى الثانية، 1399هـ. مؤسسة الصحافة والنشر، لكناؤ، الهند.
- ثقافة الهند: مجلة علمية ثقافية، جامعة فصلية، المجلد 54، العدد 1، 2/ 2003م المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، آزاد بهون، نيو دلهي، الهند.
- آج كل: جلد نمبر 45، شماره 10، مئ 2007. سوجنا بهون، سي جي او كمبليكس نئي دلهي.
- Biblio vol xii, Nos.3&84, March-April 2007. Vasant Kunj, New Delhi.

المحتويات

مقدمة: 4

الباب الأول: 9

المسلمون الهنود حتى عصر

الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي

الباب الثاني: 39

الشيخ رحمت الله الكيرانوي حياته وشخصيته

الباب الثالث: 65

أعمال الشيخ العلمية دراسة تحليلية

الخاتمة: 100

المصادر والمراجع 103

المحتويات 107